نجاة الخلف في اعتقاد السلف

تصنيف

الشيخ العلامة عثمان بن عثمان بن أحمد بن سعيد النجدي

المتوفى سنة (١٠٩٧هـ) رحمه الله

تحقيق

عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري

نجاة الخلف
في اعتقاد السلف

تصنيف

الشيخ العلامة عثمان بن عثمان بن أحمد بن سعيد النجدي

المتوفى سنة (١٠٩٧هـ) رحمه الله

تحقيق

عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري

بسم الله الرحمن الرحيم

نجاة الخلف في اعتقاد السلف

تصنيف

الشيخ العلامة عثمان بن عثمان بن أحمد بن سعيد النجدي

المتوفى سنة (١٠٩٧هـ) رحمه الله

الطبعة الثانية

١٤٤٦هـ

تحقيق وتعليق:

أبو محمد عبد الحميد بن زيد الحجوري الزُّعكري

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهل رضوانه.

أما بعد:

فإن الله عَزَّوَجَلَّ بمنه وكرمه وجوده وإحسانه قد حبب إليَّ علم الكتاب والسنة فله الحمد والمنة علىٰ كل حال وكان مما حببه إليَّ دراسة العقيدة الصحيحة وتدريسها والمطالعة في كتبها وفي يوم من الأيام وقفت علىٰ رسالة الشيخ عثمان بن أحمد بن سعيد النجدي المعنونة: (**بنجاة الخلف في اعتقاد السلف**) فطالعتها بشغف وشوق ثم رغب إليَّ بعض إخواني في شيء نمر عليه من الكتب فاخترت هذه الرسالة مع ما فيها من الاختصار ثم منَّ عليَّ ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالتعليق عليها بعد ذلك وهو ما تراه إن شاء الله تعالىٰ .

واعلم أخي المسلم أينما كنت وحيث حللت أنه لا نجاة لك في الدنيا من الفتن الدينية من بدع وضلالات وافتراق وتحزبات إلا بملازمة عقيدة السلف رضوان الله عليهم وقديما قال الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ أدركت كثيرًا من علمائنا يقولون التمسك بالسنة نجاة وهذه العبارة القصيرة في مبناها العظيمة في معناها التي يدل عليها مثل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]

كما أنه لا سلامة ولا نجاة في الآخرة إلا لمن كان علىٰ هذا السير ومن أهل هذا المسير قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» أخرجه البخاري عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ .

وقد أخرج البخاري ومسلم: من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **أن** رجلًا جاء النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال يا رسول الله المرء يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ فقَالَ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» قال أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فلم يكن فرحي بمثل هذا الحديث فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم.

فمن هذا الحديث وغيره في الباب يظهر جليلًا أن السعادة والسلامة والهدىٰ والفلاح والعز هو بملازمة سير القوم الذين قال الله عَزَّوَجَلَّ عنهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فما أثنىٰ الله عليهم هذا الثناء وجعل اتباعهم دليلًا للإحسان وسببا إلىٰ الرضوان إلا لسلامة الأقوال والأفعال والاعتقادات التي كانوا عليها ولهذا بين الله عَزَّوَجَلَّ أن من أعظم أسباب دخول النار مشاقتهم قال تعالىٰ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]

فسبيل المؤمنين هو عبادة الله عَزَّوَجَلَّ قولًا وفعْلًا واعتقادا بالكتاب والسنة والمراد بالمؤمنين هنا الصحابة فهم داخلون في هذا الوصف دُخُولًا أوليا وهم ذروة أهل

الإيمان ولهذا لما قيل للشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أين لك الحجية علىٰ إجماع السلف فاستدل بهذه الآية.

فإذا تبين أن إتباع غير سبيل المؤمنين حرام فإتباع سبيلهم واجب وحتم ولا أطيل لأني لما فرغت من التعليق علىٰ هذا الكتاب عزمت علىٰ تتمته فلما كبرت التتمة أفردتها وأسميتها «سلامة الخلف في طريقة السلف » أسأل الله عَزَّوَجَلَّ القبول والعون.

وقد ركز المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا المؤلف علىٰ المسائل التي كثر النزاع فيها بين السلف والخلف مثل مسألة العلو ومسألة الكلام مع فوائد غير ذلك وختمه بقواعد نافعة تُرىٰ في موطنها.

والكتاب مفيد وجيد مع وجود بعض ما يُنتقد عليه بيناه في موطنه بحمد الله وهكذا أي عمل بشري يقع فيه النقص والخلل ويأبىٰ الله عَزَّوَجَلَّ إلا أن تكون العصمة لكتابه .

وليعلم الجميع أن الخطأ مردود علىٰ صاحبه كائنًا من كان فلا يحابىٰ الرجال ويضيع الحق بل يبين الخطأ بدليله ويحْذَر ويحَذَّر منه، والحمد لله رب العالمين .

ترجمة المصنف

اسمه: هو الشيخ العلامة عثمان بن أحمد بن سعيد بن قايد النجدي موطنًا والحنبلي مذهبًا.

مولده:

لم أجد ما يدل علىٰ تاريخ مولده إلا أنه نشأ وولد في مدينة العيينة ونشأ بها وقرأ علىٰ علمائها.

شيوخه:

شيوخه كثير حيث قرأ علىٰ علماء نجد وعلماء دمشق ومن أهمهم:

١- الشيخ محمد بن موسىٰ البصري النجدي

٢- الشيخ عبد الحي بن العماد الحنبلي صاحب شذرات الذهب في أخبار من ذهب .

تلامذته:

تلامذته لا يحصون إذ انتفع به خلق كثير في نجد والشام ومصر ومن أشهرهم:

١- الشيخ أحمد بن عوض المرداوي الحنبلي.

٢- الشيخ محمد بن الحاج مصطفىٰ الجنيني.

مصنفاته:

له مصنفات متعددة المواضيع وهي:

١- هداية الراغب شرح عدة الطالب مطبوع.

٢- رسالة (أيّ) المشددة مطبوع .

٣- حاشية علىٰ منتهىٰ الإرادات غير مطبوع .

٤- مختصر دُرَّة الغوّاص .

٥- شرح البسملة .

٦- رسالة في الرضاع.

٧ – الإسعاف في إجازة الأوقاف .

٨- رسالة في القهوة .

٩ -تلخيص نونية ابن القيم.

١٠ –كشف الصوت عن معنىٰ لو .

وله مجموعة أخرىٰ من الرسائل الفقهية موجودة في مكتبة أوقاف بغداد مخطوطة، والله أعلم هل سلمت من أيدي العابثين أيام دخول الأمريكيين إلىٰ العراق أم لا.

وفاته:

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مساء الاثنين ١٤ جمادىٰ الأولىٰ سنة ١٠٩٧ هـ ذكره الزركلي في الأعلام.

وفي هداية العارفين (٢ / ٦٥٨): أنه كان حيًا سنة (١١١٢هـ).

و ذكر الشيخ مجمد حسنين مخلوف في مقدمته لـ (هداية الراغب) أنه توفي (١١٠٠ هـ)، فالله أعلم أي ذلك كان[١] .

(١) مصادر الترجمة مشاهير علماء نجد (٢ / ٦٨٣) للبسام الإعلام للزركلي (٤ / ٢٠٢، ٢٠٣) معجم المؤلفين لكحاله (٦ / ٢٤٨)

عملي في هذا الكتاب

قمت بما أرىٰ الكتاب بحاجة إليه مثل:

١- التعليق والشرح والإكمال لما يحتاج إلىٰ ذلك.

٢- تخريج الأحاديث والآثار التي في الكتاب.

٣- التعقب علىٰ ما يحتاج إلىٰ ذلك مع بيان الحق في هذا الموطن.

٤- عملت ترجمة مختصرة للمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكنت كما تقدم قد كتبت مقدمة كبيرة ضمنتها قواعد الأسماء والصفات ومنهج السلف في هذا الباب لما أرجو به النفع لي ولمن قرأه من المسلمين، ثم أضفته إلىٰ كتابي المذكور آنفًا، والحمد لله رب العالمين أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، **والحمد لله على كل حال و أقول:**

وإن تجد عيبًا فسد الخللا ❁❁ قد جل من لا عيب له وعلا

كتبه:

أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري

دار الحديث بدماج - اليمن - صعدة

٧/ ذو الحجة/ ١٤٣١هـ

نجاة الخلف في اعتقاد السلف

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي.

الحمد لله[1] العـلي العظيم،

---

(١) ابتدأ المؤلف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- الكُتاب بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) علىٰ عادة المصنفين في فعل ذلك، اقتداءً بالكتاب العزيز، فإن الله عَزَّوَجَلَّ افتتح كتابه بـ(بسم الله الرحمن الرحيم).

وكذا متابعة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه كان يفتتح رسائله ومكتباته بها، **ففي البخاري ومسلم**: عن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وفيه فدفعه إلىٰ هرقل فقرأه فإذا فيه: **"بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾** [آل عمران:٦٤]".

وفي مسلم: عن البراء قال لما أحصر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند البيت صالحه أهل مكة علىٰ أن يدخلها فيقيم بها ثلاثًا ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح السيف وقرابه. ولا يخرج بأحد معه من أهلها ولا يمنع أحدًا يمكث بها ممن كان معه، **قال لعلي: «اكتب الشرط بيننا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»**. فقال له المشركون **«لو نعلم أنك رسول الله تابعناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله»**. فأمر عليًا أن يمحاها فقال علي: "لا والله لا أمحاها". فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«أرنى مكانها»**. فأراه مكانها فمحاها وكتب: **«ابن عبد الله»**. فأقام بها ثلاثة أيام فلما أن كان يوم الثالث قالوا لعلي: **«هذا آخر يوم من شرط صاحبك فأمره فليخرج»**. فأخبره بذلك فقال: **«نعم»**. فخرج.

و(**الباء**) هنا للاستعانة، أي: بسم الله أُؤَلِّفُ، أو أَكْتُبُ حال كوني مستعينًا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بينما ذهب المعتزلة إلىٰ أن الباء للمصاحبة، وهذا مبنيٌّ علىٰ معتقدهم الفاسد أن أفعال العباد خلق لهم، فالصحيح أن الباء للاستعانة.

=

= (الله): لفظ الجلالة وهو أعرف المعارف، علمٌ على الذات العلية، وهو مشتق، قال الكسائي والفراء: «أصله الإله، حذفوا الهمزة، وأدغموا اللام في اللام، فصارتا لاما واحدة مشددة مفخمة».

قال العلامة ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: (الصحيح أنه مشتق، وأن أصله الإله، كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ. وهو الجامع لمعاني الأسماء الحسنى والصفات العلى. والذين قالوا بالاشتقاق إنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى. وهي الإلهية، كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم والقدير، والسميع، والبصير، ونحو ذلك. فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، ونحن لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منه تولد الفرع من أصله. وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه: أصلا وفرعا، ليس معناه أن أحدهما متولد من الآخر. وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة). اهـ

قال أبو جعفر بن جرير: ("الله" أصله "الإله" أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم. فالتقت اللام التي هي عين الاسم واللام الزائدة وهي ساكنة فأدغمت في الأخرى، فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة. وأما تأويل "الله" فإنه على معنى ما روي لنا عن عبد الله بن عباس قال: "هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق" وساق بسنده عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال: "الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين "فإن قال لنا قائل: وما دل على أن الألوهية هي العبادة ؟ وأن الإله هو المعبود، وأن له أصلا في فَعِلَ وَيَفْعَلُ ؟... وذكر بيت رؤبة بن العجاج:

لله در الغانيات المُدَّهِ ❁❁ سبحن واسترجعن من تألهي

يعني: من تعبدي وطلبي الله بعملي). انتهى من فتح المجيد.

(الرحمن): اسم من أسمائه الحسنى، و(الرحيم): اسم من أسمائه الحسنى، و(الرحمن): يدل على الرحمة المتعلقة بالذات. و(الرحيم): يدل على الرحمة المتعدية إلى المخلوق. واسم الرحمن أبلغ من اسم الرحيم ؛ لأنه على وزن فعلان.

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ("الرحمن" دال على الصفة القائمة به سبحانه، "والرحيم" دال على تعلقها بالمرحوم. وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧] ولم يجئ قط رحمن بهم». انتهى من فتح المجيد.

والحمد هو الإخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله، وتعظيمه قاله ابن القيم في "البدائع" (٢/ ٩٣). =

= وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «بدائع التفسير» (١/ ١١٣): فإن سبحانه يحمد علىٰ أفعاله كما حمد نفسه عليها في كتابه، وحمده عليها رسله وملائكته والمؤمنين من عباده، فمن لا فعل له البتة كيف يحمد علىٰ ذلك، فالأفعال هي المقتضية للحمد، ولهذا تجده مقرونًا بها كقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[الأعراف: ٤٣] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١] اهـ.

قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في تفسيره سورة الفاتحة (١/ ٣٦٤): ثم اعلم أن حمد الله تعالىٰ لنفسه حسن لا كحمد المخلوقين لأنفسهم؛ لأن المخلوق لا يخلو عن نقص، فلا يخلو مدحه نفسه عن كذب فيقبح منه أن يمدح نفسه، وأما الله جل جلاله بريء عن النقص والعيب فكان مدحه لنفسه حسنًا اهـ.

وقد ذهب ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ أن الحمد لله هو الشكر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ورد هذا التعريف ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره فقال: وهذا الذي أدعاه ابن جرير فيه نظر؛ لأنه اشتهر عند كثير من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول علىٰ المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا علىٰ المتعدية، ويكون بالجنان واللسان والأركان كما قال الشاعر:

أفـــادتكم النعمـــاء منـــي ثلاثـــة ❁❁ يـــدي ولســـاني والضـــمير المحجبـــا

اهـ.

وهذا التعريف الذي ذهب إليه ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ قد رده ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «البدائع» (٢/ ٩٥) وبين أن الثناء هو الحمد، إذا تكرر، فقال: فإن الإخبار عن المحاسن إما بتكرار أو لا، فإن تكرر فهو الثناء وإن لم يتكرر فهو الحمد، فالثناء مأخوذ من الثني وهو العطف ورد الشيء بعضه إلىٰ بعض، ومنه تثنية الثوب ومنه تثنية الاسم. اهـ

واستدل علىٰ ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحديث أبي هريرة عند الإمام مسلم: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال العبد: {الحمد لله رب العالمين}، قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال {الرحمن الرحيم}، قال: أثنى عليَّ عبدي» لأنه كرر الحمد .

و (**اللام**) في (**الحمد**) للاستغراق، أي: استغراق جميع أجناس الحمد وثبوتها لله تعالىٰ تعظيمًا وتمجيدًا، قاله القاسمي في "تفسيره".

وكل ما شمله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ملكه وقدرته شمله حمده، قاله ابن القيم اهـ. في طريق الهجرتين.

ونذكر هنا من باب الفائدة الفروق بين الحمد والشكر، والحمد والثناء، والحمد والمجد، والحمد =

= والمدح.

الفرق بين الحمد والشكر: الشكر أعم آلة، أي أنه يكون بالقلب خضوعًا واستكانة وباللسان ثناء واعترافًا، وبالجوارح طاعة وانقيادًا، بينما الحمد يكون باللسان وبالقلب فقط.

والشكر يكون علىٰ الصفات المتعدية فقط، فتقول: شكرته علىٰ إحسانه وفضله وعدله، ولا تقول شكرته علىٰ سمعه وبصره وجماله.

بينما الحمد يكون علىٰ الصفات المتعدية واللازمة، تقول: حمدته علىٰ جماله وإحسانه وحمدته علىٰ سمعه وبصره اهـ بتصرف من "المدارج" (٢/ ٢٤٦).

قال ابن كثير: واختلفوا أيهما أعم الحمد أم الشكر علىٰ قولين، والتحقيق أن بينهما عموم وخصوص، ثم ذكر بنحو ما تقدم من كلام ابن القيم.

وأما الفرق بين الحمد والثناء فالثناء هو الحمد إذا تكرر، والفرق بين الحمد والمجد: أن الحمد يكون من أوصاف الجمال والإحسان وتوابعها، بينما المجد يكون من أوصاف العظمة والجلال والسعة، وهذا لأن لفظ (م ج د) في لغتهم يدور علىٰ معنىٰ الاتساع والكثرة، فمنه مجد الرجل فهو ماجد إذا كثر خيره وإحسانه إلىٰ الناس، قال الشاعر:

أنـــت تكـــون ماجـــدٌ نبيـــل ❁❁ إذا تهـــب شـــمائل بليـــل

ويقول رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في حديث أبي هريرة عند مسلم: **«فإذا قال العبد: (مالك يوم العيد)، قال الله: مجدني عبدي»**؛ فإنه وصفه بالملك والعظمة والجلال اهـ بتصرف من **«البدائع»** (٢/ ٩٥).

وأما الفرق بين الحمد والمدح، فإن كان ذكر المحاسن مع المحبة والتعظيم والإجلال فهو الحمد، وإن كان متجرد عن المحبة والتعظيم فهو المدح، أفاده ابن القيم في "البدائع".

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالىٰ**: وأما المدح فهو أعم من الحمد؛ لأنه يكون للحي والميت وللجماد أيضًا، كما يمدح الطعام والمكان ونحو ذلك، ويكون قبل الإحسان وبعده، وعلىٰ الصفات اللازمة والمتعدية أيضًا فهو أعم. اهـ

والحمد يكون أيضًا علىٰ الجميل الاختياري، بينما المدح قد يكون علىٰ الجميل الاختياري وغير الاختياري، أفاده الشوكاني في "فتح القدير".

أقول: وقد يكون أيضًا المدح مع المحبة والتعظيم خلافًا لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فمثلًا إذا مدحت الكعبة وهي جماد أليس هنالك محبة وتعظيم.

واجب الوجود[1]، الحي القيوم[2]،

---

(١) قوله: (واجب الوجود): هذا من المصطلحات الحادثة في تسمية الباري عَزَّوَجَلَّ، وأول من تكلم به ابن سينا عليه من الله ما يستحق، وخالف سلفه الطالحين من الفلاسفة اليونانيين، حيث كانوا يسمون الرب: "عقلًا وجوهرًا" ويسمونه عندهم المبرأ والعلة الأولىٰ وهو عندهم لا يعلم شيئًا سوىٰ نفسه ولا يريد شيئًا، ولا يفعل شيئًا، تعالىٰ الله عن قولهم، وهذا لفظ محدث لفظًا، ومعنىٰ لكن المتأخرين استخدموه علىٰ اعتبار أن الموجودات منها واجب الوجود أي ممتنع العدم، وهو الذي وجوده ضروري، وهو الله عَزَّوَجَلَّ.

الثاني: ممتنع الوجود، أي عدمه ضروري كالشريك وممكن الوجود، وهو الذي وجوده غير ضروري، كهذا العالم، راجع "مجموع الفتاوىٰ" (٩/ ٢٧٧) و"توضيح مصطلحات الطحاوية" (ص٣٢-٣٣) و"منهاج السنة" (٢/ ١٣١-١٣٢) ط ابن تيمية.

(٢) اسمان من الأسماء الحسنىٰ دل علىٰ ذلك الكتاب والسنة قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وذكر هذان الاسمان مقرونان في ثلاثة سور من القرآن سورة البقرة وآل عمران وسورة طه وفي حديث أنس عند النسائي في عمل اليوم والليلة (ص٣٩٧) كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يدعو: «يا حي يا قيوم».

وذهب بعض أهل العلم: إلىٰ أنه الاسم الأعظم.

وقال بعضهم غير ذلك استدلالًا بحديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ عند ابن ماجة (١/ ٣٨٥) (... وإذا دعيَّ به أجاب والصحيح أنه الاسم الأعظم هو لفظ الجلالة (الله) فعليه مدار بقية الأسماء وهي تابعة له.

وأما قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١] فلفظ الجلالة هناء عطف بيان وليس بعطف نسق.

قال الإمام الشوكاني في التفسير: ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٢] قرأ نافع وابن عامر بالرفع علىٰ أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: هو الله المتصف بملك ما في السموات وما في الأرض، وقرأ الجمهور بالجرّ علىٰ أنه عطف بيان لكونه من الأعلام الغالبة، فلا يصح وصف ما قبله به؛ لأن العلم لا يوصف به. وقيل: يجوز أن يوصف =

الدائم[1] الباقي، الملك المعبود[2]، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا[3] محمد، الرسول المطاع، الأمين المبلغ عن الله دينه القويم بقواطع الآيات والبراهين، فلم يترك بابًا من أبواب الخير إلا أمر به ودل عليه، ولا بابًا من أبواب الشر إلا نهى عنه، وحذر أن يُنتمى إليه[4]، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، وتابيعهم، وتابعي تابعيهم من الأئمة الأعلام، الذين لم يزالوا على المحجة البيضاء، فالسعيد من تبعهم من الأنام.

= به من حيث المعنىٰ . وقال أبو عمر : إن قراءة الجرّ محمولة علىٰ التقديم والتأخير، والتقدير ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ .

وقال القرطبي : فقدم النعت علىٰ المنعوت، كقولك: مررت بالظريف زيد. وقيل: علىٰ البدل من" ٱلْحَمِيدِ " وليس صفة.

(١) لا يسمىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بالدائم والباقي، ولا يثبت، في هذه التسمية شيء، ويغني عنهما ما جاء في الكتاب والسنة وأن اسمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الأول، **ومعلوم**: أن أسماء الله توقيفية، وتثبت له صفة البقاء قال تعالىٰ : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] وإنما ورد هذان الاسمان في حديث أبي هريرة عند الترمذي (٣٥٠٧)وغيره، وزيادة ذكر الأسماء مدرجة نص عليه الحافظ كما في "التلخيص" وغيره، وقد ذكرنا نقولات الحفاظ في رسالة: **"التبيين لخطأ من حصر أسماء الله في تسعة وتسعين (٥٤-٥٩)"**.

(٢) المعبود من أسماء الأخبار لا من الأسماء الحسنىٰ، وباب الإخبار أوسع من باب الأسماء، كإطلاق اسم الصانع والقديم، لكن لا يدعي الله بها، راجع "مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام" (٦/ ١٤١-١٤٢).

(٣) رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علمنا كيف نصلي عليه كما في حديث كعب بن عجرة وأبي مسعود في الصحيحين وليس فيهما لفظة سيدنا، وإن كان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سيد الناس باتفاق كما في حديث أبي هريرة: **«أنا سيد الناس يوم القيامة»** متفق عليه، لكن خير الهدىٰ هديه. واستخدام الألفاظ الشرعية أولىٰ وأحوط.

(٤) يدل علىٰ ذلك حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم (١٨٤٤) ولفظه: **«إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته خير ما يعلمه لهم وينذرهم عن شر ما يعلمه لهم»**.

وبعد: فهذه تعليقة لطيفة تشتمل على مسائل من أصول الدين[1] ينتفع بها -إن شاء الله- كثير من المبتدئين والمتوسطين وهي على مذهب الإمام المبجل، والحبر المفضل الإمام الرباني والصديق الثاني[2]، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل

---

(١) تقسيم الدين إلىٰ: "أصول وفروع" تقسيم مبتدع.

قال شيخ الإسلام كما في "المجموع" (٢٣/ ٣٤٦): فأما التفريق بين نوع وتسميته مسائل الأصول وبين نوع آخر، وتسميته مسائل الفروع، فهذا الفرق ليس له أصل لا عند الصحابة ولا عند التابعين لهم بإحسان ولا أئمة الإسلام، وإنما هو مأخوذ عن المعتزلة وأمثالهم من أهل البدع اهـ.

ثم جعل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكر ما جعلوه ضابطًا للمسائل الأصولية ويفندها حيث يزعمون تارة أن الأصول هي المسائل الاعتقادية، وتارة الأصول هي المسائل القطيعة، وراجع "منهاج السنة" (٥/ ٨٧-٨٨).

(٢) أطلق عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الوصف؛ لأن الله حفظ الدين بأبي بكر خليفة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الردة، حيث قاتلهم وردهم إلىٰ الجادة، كما عند الشيخين من حديث أبي هريرة، والله لا أقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، الزكاة حق المال.

والإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما حصلت المحنة وهي محنة القول بخلق القرآن أجابهم إلىٰ ما أرادوا كثير من العلماء واستخدم التقية كثير منهم، وثبت الإمام أحمد ونصره الله وكان بعد ذلك مذهبه ومعتقده ظاهرًا.

قال علي بن المديني: حفظ الله الدين برجلين بأبي بكر في الردة وبأحمد في المحنة.

راجع لذلك "المحنة" لصالح بن أحمد، وكذلك "المحنة" للمقدسي، وترجمة الإمام أحمد في "سير أعلام النبلاء" وكذلك في "البداية والنهاية". تجد صبرًا عظيمًا وعلمًا غزيرًا.

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الإبانة" (ص٤٣): فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية، والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون؟ قيل له: قولنا الذي نقول به وديننا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عَزَّوَجَلَّ وسنة نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما رواه السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته، =

الشيباني – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه–[1] وجعل الجنة منقلبه ومثواه.

ورتبتها على مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة، أسأل الله حسنها وقبولها، وبالله أستعين.

= وأجزل مثوبته قائلون، ولمن خالف قوله: مجانبون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال، وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين وشك الشاكين. اهـ.

(١) الترضي علىٰ غير الصحابة فيه خلاف **والصحيح**: أن الترضي عن الصحابة من باب الأخبار بذلك؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ أخبر أنه رضي عنهم ورضوا عنه في كثير من المواطن من القرآن .

وإذا أطلق علىٰ غيرهم فهو من باب الدعاء لهم وتقديره: نسأل الله أن يرضىٰ عنهم .

المقدمة في معرفة الله تعالى[1]

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فنقول وبالله التوفيق: تجب معرفة الله تعالى شرعًا بالنظر في الوجود على كل مكلف قادر، وهو أول واجب له تعالى[2]، وأول نعم الله الدينية وأعظمها:

---

(١) يعرف الله عَزَّوَجَلَّ بآيته الشرعية والكونية قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]

قال ابن عثيمين في الأصول الثلاثة (١٩): ويتعرف العبد علىٰ ربه بالنظر في الآيات الشرعية في كتاب الله وسنة رسوله والنظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات فإن الإنسان كلما نظر في تلكم المخلوقات ازداد علما بخالقه ومعبوده، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠ – ٢١] اهـ.

والمتدبر لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ يجد كثيرا من المواطن التي حث الله عز وجا عباده فيها علىٰ التدبر والتفكر ومعرفة العبد ربه من العلم الضروري الذي يجب عليه معرفته كما هو مبين في غير ما كتاب.

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب: في الأصول الثلاثة: عْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ: **الأُولَىٰ**: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ. اهـ

(٢) هذا القول من المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ خطئ ظاهر، وقول بائر وافق فيه المعتزلة الضلال.

قال ابن أبي العز في "شرح الطحاوية" (٧٨): **ولهذا كان الصحيح**: أن أول واجب يجب علىٰ المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر ولا القصد إلىٰ النظر، ولا الشك مع أن معرفة الصانع وحدها لا يصير بها الرجل مؤمنًا اهـ، وهذا القول خلاف منهج السلف، فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يرسل رسله للدعوة إلىٰ الله ويدلهم إلىٰ قوله، (وليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله) كما عند الشيخين عن معاذ، فلم يرد أنه دلهم علىٰ النظر ولا قصد النظر، فتنبه.

=

أن أقدره على معرفته[1]، وأول نعم الله الدنيوية: الحياة العرية عن ضرر.

وشكر المنعم واجب شرعًا[2]، وهو اعترافه بنعمته على جهة الخضوع والإذعان، وصرف كل نعمة في طاعته. ويجب الجزم بأنه تعالى واحد أحدٌ، فرد[3] صمد، عالم بعلم[4]، قادر بقدرة، مريد بإرادة[5]، حي بحياة، سميع بسمع، بصير ببصر،

= راجع "درء تعارض العقل والنقل" (٨/ ٦-١٠) و"الفصل" لابن حزم (٤/ ٦٧-٧٨) ففيه كلام نفيس حول هذه المسألة.

(١) يدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣] فأعظم نعمة هي نعمة الإسلام ولا تتم هذه النعمة إلا بمعرفة الله عَزَّوَجَلَّ.

(٢) لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقد تقدم أن شكر الله عَزَّوَجَلَّ يكون بالجوارح انقيادًا وباللسان مدحًا وذكرًا وبالقلب استكانة وخضوعًا.

(٣) اسم الأحد والواحد والصمد ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١ - ٢] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦] واسم الفرد ليس من الأسماء الحسنىٰ لله عَزَّوَجَلَّ، وإن كان قد أثبته البيهقي، لكن لا يوجد حديث صحيح يدل عليه، ويغني عنه اسم الأحد ويكون الفرد من أسماء الإخبار لا من الأسماء الحسنىٰ.

(٤) **هذا هو الصواب خلافًا لمنهج المعتزلة الذين يقولون**: عليم بلا علم، وقدير بلا قدرة، وهذا القول فاسد وظاهر الفساد فإنه لو قيل لأحدهم أنت عالم بلا علم لاعتبر ذلك مذمة فكيف يرضىٰ هذا في حق الله عَزَّوَجَلَّ قال الله عَزَّوَجَلَّ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣] وقال: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقال: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]. وأعلم أن كل اسم من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ يتضمن صفة كمال فاسم السميع يتضمن صفة السمع والبصير يتضمن صفة البصر وهكذا.

(٥) الإرادة ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وقوله: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦] وتنقسم إرادة الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ إرادة كونية وشرعية، فالكونية تقدم دليلها، وهي واقعة لا محالة، وتكون فيما يحبه الله وما لا يحبه، وهي مرادفة للمشيئة، بينما الشرعية لا تكون =

متكلم بكلام[1]، وبأنه سبحانه ليس بجوهر[2]، ولا جسم، ولا عرض[3].

= إلا فيما يحبه الله، وقد تقع وقد لاتقع و لها تعلق بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ، و اسم المريد ليس من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ الحسنىٰ، وإنما يطلق عليه من باب الإخبار

(١) كل هذه العبارات رد علىٰ المعتزلة الذين يثبتون الأسماء لله عَزَّوَجَلَّ مجردة عن الصفات.

قال شيخ الإسلام في "التدمرية" (ص١٨): وقاربتهم –أي الجهمية– طائفة ثالثة من أهل الكلام من المعتزلة، ومن تبعهم فأثبتوا له الأسماء دون ما تضمنته من الصفات، فمنهم من جعل العليم والقدير والسميع كالأعلام المحضة المترادفات، ومنهم من قال: عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، فأثبتوا الاسم دون ما تضمنه من الصفات اهـ. مع أن من عقيدة أهل السنة أن أسماء الله أعلام وأوصاف وكل اسم يتضمن صفة علىٰ ما تقدم وقول المعتزلة هذا من الإلحاد فيها وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

(٢) استخدام هذه الألفاظ التي لم يرد بإثباتها أو نفيها دليل من الكتاب والسنة ليس من طريقة السلف الصالحين فتنبه لأن هذا الباب توقيفي. والجوهر: عبارة عن المتحيز، وهو ينقسم إلىٰ الجوهر الفرد: وهو عبارة عن جوهر لا يقبل التجزئ لا بالفعل ولا بالقوة، وإلىٰ مركب وهو الجسم وهو المؤتلف من جوهرين فردين فصاعدًا.

انظر: "المعجم الفلسفي" (ص٦٤). المراد بقوله لا بالفعل حين فعله لذلك الأمر فزيد مثلا حين يتكلم متكلم بالفعل ساكت بالقوة وحين سكت ساكت بالفعل متكلم بالقوة .

(٣) **العرض**: هو الذي لا يصح بقائه ويقوم بغيره، ويعرض للجواهر والأجسام والكلام في هذه العبارات محدث، راجع "المحجة" (١/ ٩٩–١٠٠) وانظر: "الفتاوىٰ" (٦/ ٩٠–٩١).

واعلم أن هذه الاصطلاحات حادثة ومجملة، فلا تُنفىٰ مطلقًا، ولا تثبت مطلقًا، بل يتوقف في اللفظ، ويستفصل في المعنىٰ فإن أريد به باطل، رد، وإن أريد به حق يثبت المعنىٰ الحق، ويعبر عنه بالألفاظ الشرعية، "التدمرية" (ص٦٥–٦٦).

قال شيخ الإسلام: وما تنازع فيه المتأخرون نفيًا وإثباتًا فليس علىٰ أحد، بل ولا له أن يوافق أحدًا علىٰ إثبات اللفظ أو نفيه حتىٰ يعرف مراده، فإن أراد حقًا قبل، وإن أراد باطلًا رد، وإن اشتمل كلامه علىٰ حق وباطل لم يُقبل مطلقًا ولم يُرد مطلقًا، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنىٰ اهـ. وأسلم الطرق هو التوقف علىٰ الكتاب والسنة الصحيحة نفيًا أو إثباتًا .

ولا تحله الحوادث، ولا يحل في حادث، ولا ينحصر فيه، فمن اعتقد أو قال: بأن الله تعالى بذاته في كل مكان، أو في مكان فكافر(١)، بل يجب الجزم بأنه سبحانه بائن من خلقه، فالله تعالى كان ولا مكان(٢)، ثم خلق المكان، وهو على ما عليه قبل خلق المكان(٣).

---

(١) هذا رد علىٰ أصحاب وحدة الوجود والحلو والاتحاد، وهم أكفر من اليهود والنصارىٰ كما نقل ذلك شيخ الإسلام في كتابه "الحموية" وقد أشار صاحب كتاب "معجم ألفاظ العقيدة" (ص١٥٠) إلىٰ أن عقيدة الحلول لا ترتبط بفرقة أو طائفة معينة، بل هو معتقد طوائف عدة، وفرق كثيرة أولها النصارىٰ الذين قالوا بحلول اللاهوت الذي هو الله في الناسوت الذي هو عيسىٰ عليه السلام، ثم تبعهم الروافض الذين يقولون بحلول الذات الإلهية في علي بن أبي طالب وجاء بعدهم طوائف من المعتزلة والجهمية سلكوا مسلك الحلول الإلهي في من شاء من البشر والحلو **نوعان:**

١- **حلول خاص**، وهو قول النسطورية من النصارىٰ ونحوهم ممن يقول بأن اللاهوت حل في الناسوت كحلول الماء في الإناء، وهو قول الرافضة الذين يقولون حل الإله في علي.

٢- **حلول عام**: وهو القول الذي ذكره أهل السنة عن طائفة الجهمية الذين يقولون بأن الله بذاته في كل مكان اهـ.

والاتحادية أيضًا نوعان: وهم الذين يزعمون أن الله اتحد بمخلوقاته كاتحاد الماء باللبن، وهم نوعان:

الأول: أصحاب الاتحاد الخاص، وهم اليعقوبية من النصارىٰ الذين زعموا أن الله تعالىٰ اتحد بعيسىٰ عليه السلام.

والثاني: الاتحاد العام وهم الذين يقولون ما في الكون إلا الله.

قال ابن القيم فيهم:

حـــاشا النصـــارىٰ أن يكونـــوا مـــثلهم ❁❁ وهـــم الحمـــير وعـــابدو الصـــلبان

هـــم خصصـــوه بـــالمسيـــح وأمـــه ❁❁ وهـــؤلاء مـــا صانـــوه عـــن حيـــوان

راجع "مجموع الفتاوىٰ" (٢/ ٨٠-١٤٢) و"شرح النونية" لابن عيسىٰ (١/ ١٤٢). وأصحاب واحدة الوجود هم الذين يزعمون أن الوجود هو الله عَزَّوَجَلَّ تعالىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عن قولهم علوًا كبيرًا بل الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ عرشيه استوىٰ بائن من خلقه علىٰ ما يأتي بيانه .

(٢) ولا مكان وجودي بمعنىٰ مخلوق.

(٣) سيأتي بيان المعتقد الصحيح في علو الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ خلقه وهذ الكلام منه خطأ بين وهو من الألفاظ التي يطلقها المبتدعة ويريدون بها نفي العلو ونفي الاستواء .

وكل شيء سوى الله تعالى وصفاته حادث[1]، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلقه وأوجده وابتدأه من العدم، وجميع أفعال العباد كسب لهم[2]،

---

(١) أي مخلوق لقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢]، فالله خالق وما سواه مخلوق.
قال السفاريني في منظومته:

وسائر الأشياء غير الذات ❁❁ وغيرما الأسماء والصفات
مخلوقة لربنا من العدم ❁❁ وفضل من أثنىٰ عليها بالقدم

وفي هذا رد علىٰ المعتزلة والجهمية الذين يزعمون أن صفات الله عَزَّوَجَلَّ مخلوقة. ومن زعم أن صفات الله مخلوقة فهو كافر بالله العظيم لأن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ من كلامه وكلامه غير مخلوق علىٰ ما يأتي بيانه إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ.

(٢) خلافا للمعتزلة القدرية الذي يزعمون أن أفعال العباد خلق لهم مع أن الله يقول: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢] وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] وفي حديث حذيفة: «الله خالق كل صانع وصنعته» أخرجه البخاري في الأدب المفرد
قال السفاريني:

أفعالنا مخلوقة لله ❁❁ لكنها كسب لنا يا لاهي

وأنا أقول: (لكنها فعل لنا يا لاهي)، الأن اللفظ الكسب من مصطلحات الأشاعرة الفاسدة علىٰ ما يأتي.

والكسب تطلقه القدرية علىٰ: وقوع الفعل بإيجاد العبد وإحداثه ومشيئته من غير أن يكون الله شاءه، وأوجده، وتطلقه الجبرية والأشاعرة ويعنون به قدرة غير مؤثرة.

وأما أهل السنة فيقولون: إن العبد فاعل لفعله وهو بمشيئة الله تعالىٰ وإرادته قال الله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠] وقد فسر الجبرية الكسب بعدة تفسيرات منها: ما قاله السفاريني: الكسب في اصطلاح المتكلمين: ما وقع من الفاعل مقارنًا لقدرة محدثة واختيار.

قال ابن القيم في "شفاء العليل" (١/ ٣١٣): وكسب الجبرية لا معنىٰ له ولا حاصل تحته، وقد اختلفت عباراتهم فيه وضربوا له الأمثال وأطالوا فيه المقال اهـ.

=

وهي مخلوقة لله تعالى، خيرها وشرها، والعبد مختار ميسر في كسب الطاعة واكتساب المعصية(١).

ومشيئة الله تعالى وإرادته تعالى ليستا بمعنى محبته(٢)، ورضاه

= **وقال شيخ الإسلام في "شرح الأصفهانية"**: فسروا الكسب بما قارن القدرة المحدثة في محلها، ومجرد المقارنة لا يميز القدرة عن غيرها، فإن الفعل قد يقارن العلم، والإرادة وغير ذلك اهـ من "لوامع الأنوار" (١/ ٢٩١-٢٩٢).

(١) هذا رد علىٰ طائفتي المجبرة والقدرية، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] وقال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] وقال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٥ – ١٠] وفي حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المتفق عليه: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**».

قال ابن كثير في "تفسيره" (٤/ ١٣): يحتمل أن تكون (ما) مصدرية، فيكون تقدير الكلام خلقكم وعملكم، ويحتمل: أن تكون بمعنىٰ (الذي) تقديره: والله خلقكم والذي تعملونه، وكلا القولين متلازم والأول أظهر اهـ. قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٥ – ١٠] ومما يدل علىٰ قدرة العبد واستطاعته و إرادته قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧] وقوله: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] خلافا للجبرية الذي يزعمون أن الإنسان كالريشة في مهب الريح.

(٢) المراد هنا الإرادة الكونية التي هي مرادفة للمشيئة، وسبب ضلال طائفتي القدرية والجبرية أنهم جعلوا إرادة الله مستلزمة لمحبته، فقالت القدرية: هو لا يحب الكفر والمعاصي، فالنتيجة أنه لم يردها ولم يخلقها.

وقال الجبرية: هو لو لم يحب الكفر والمعاصي لما خلقها ولما فعلها العباد، وقول أهل السنة إن إرادة الله عَزَّوَجَلَّ كونية وشرعية فالكونية تكون في المحبوب وغيره والشرعية لا تكون إلا في المحبوب وعلىٰ ما تقدم، وصفة المحبة من الصفات الفعلية الثابتة لله عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وفي حديث سعد بن أبي وقاص في مسلم: «**إن الله يحب العبد التقي الخفي**».

وسخطه، وبغضه، فيحب ويرضى ما أمر به فقط[1]، وخلق كل شيء بمشيئته[2].

---

(١) وهذه هي الإرادة الشرعية فقط، وقد تقع وقد لا تقع، وتجتمع مع الإرادة الكونية في حق المطيع وتفترق في حق العاص فمثلا إيمان أبي بكر شاءه الله عَزَّوَجَلَّ كونًا وشرعًا فعرفنا أنه شاءه وأراده كونًا لوقوعه وعرفنا كونه أراده شرعًا لأمره به .

وإيمان أبي جهل أراده الله عَزَّوَجَلَّ شرعًا لا كونًا وبيانه أن الله أمره بالإيمان ولم يقع، وفي هذه الفقرة صفة السخط لله عَزَّوَجَلَّ على ما يليق بجلاله ويدل عليها قوله تعالىٰ ﴿سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠]، والرضا ويدل عليه قوله تعالىٰ ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩] .

والبغض: هو الكراهة ويدل عليها قوله تعالىٰ ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦] وهذا رد علىٰ الأشاعرة الذين يعطلون الله عَزَّوَجَلَّ من صفات الأفعال وكذا علىٰ المعتزلة الذين يعطلون الله عَزَّوَجَلَّ من جميع صفاته الذاتية والفعلية ومن باب أولىٰ الجهمية .

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، **والمشيئة هي** المرتبة الثالثة من مراتب القدر الأربع التي لا يتم الإيمان بالقدر إلا بها وهذه المراتب هي العلم. قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، والكتابة: ﴿وَعِندَهُۥ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]، وفي الحديث: **«لما خلق الله القلم قال: اكتب، قال: وما أكتب، قال اكتب ما كان وما يكون إلى قيام الساعة»** أخرجه مسلم (٢٦٥٣) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **والثالثة**: المشيئة. والرابعة: الخلق، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وللتوسع في هذا الباب يراجع كتاب "شفاء العليل" لابن القيم و"القدر" للوادعي رحمهما الله تعالىٰ.

والإسلام[1]: الإتيان بالشهادتين مع اعتقادهما[2]، والتزام بقية الأركان الخمسة إذا تعينت[3]، وتصديق الرسول فيما جاء به[4].

---

(١) **من تعاريفه**: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك، والبدع وأهلهما، والإسلام والإيمان إذا اجتمعا دل كل منهما علىٰ معنىٰ، فالإسلام علىٰ الأعمال الظاهرة والإيمان علىٰ الأعمال القلبية، وإذا افترقا اجتمعا ودل كل واحد منهما علىٰ الآخر يدل علىٰ هذا التفصيل حديث ابن عباس عند البخاري (٥٣) ومسلم (١٧) حين سألوا رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تودوا الخمس من المغنم**» وراجع لهذا التفصيل كتاب "الإيمان" لشيخ الإسلام. **قال الراغب في مادة سلم**: (والإسلام في الشرع علىٰ ضربين أحدهما دون الإيمان وهو الاعتراف باللسان وبه يحقن الدم حصل معه الاعتقاد أولم يحصل وإياه قصد بقوله: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] والثاني فوق الإيمان وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل واستسلام لله في جميع ما قضىٰ وقدر، كما ذكر عن إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]).

(٢) وبهما يُدخل في الإسلام لحديث: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله...**» الحديث جاء عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ متفق عليه، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم وعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا متفق عليه. وقوله: (**مع اعتقادهما**) إخراج للمنافقين ورسول الله ﷺ يقول: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقىٰ الله عبد بهما غير شاك إلا دخل الجنة**». أخرجه مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) **أما الشهادة** فمتعينة بالقدر علىٰ النطق بها فإن عجز جاء بما يدل عليها من الإشارة والكتابة ونحوهما.
وأما الصلاة فمتعينة إذا تحققت شروطها وانتفت موانعها كالحيض والإغماء والجنون وغيرها.
وأما الزكاة فتتعين إذا توافرت شروطها علىٰ أصنافها كبلوغ النصاب في بهيمة الأنعام والأموال والعروض وغيرها. **وأما الصوم**: فمتعين إذا دخل وقته وهو رمضان، وكذا القدرة عليه ولم يكن ثمَّ عذر أو مانع. **وأما الحج**: فمتعين بقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] علىٰ الحر، ويشترط فيما سبق التكليف، وهو البلوغ والعقل مع الشهادتين.
انظر: "الوجيز" لابن أبي السري (ص٣٦، ٦٩، ٨٣، ٩٠).

(٤) وأركان الإيمان بالنبي ﷺ أربعة: تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر، والانتهاء عما =

والكفر(١): جحد ما لا يتم الإسلام بدونه، ومن جحد ما لا يتم الإسلام بدونه، أو جحد حكمًا ظاهرًا أجمع على تحريمه أو حِله إجماعًا قطعيًا، أو ثبت جزمًا كتحريم لحم

= نهىٰ عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع. أما الدليل علىٰ الطاعة فقوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟﴾ [المائدة: ٩٢] . وأما دليل ترك نواهيه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] . وأما دليل التصديق: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣] ولا يكون الاتباع إلا بتصديق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وأما دليل العبادة: شرعته حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «**من أحدث ي أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» متفق عليه.

(١) **الكفر**: من الكَفر وهو التغطية، ولهذا سمىٰ المزارع كافر هذا في اللغة.

قال أبو عبيد في غريب الحديث (٣ / ١٣): (وأما الكافر فيقال -والله أعلم: إنما سمي كافرا لأنه متكفر به كالمتكفر بالسلاح، وهو الذي قد ألبسه السلاح حتىٰ غطىٰ كل شيء منه، وكذلك غطىٰ الكفر قلب الكافر، ولهذا قيل لليل كافر؛ لأنه ألبس كل شيء قال لبيد يذكر الشمس:

حتىٰ إذا ألقت يدا في كافر ❁❁ وأجن عورات الثغور ظلامها

وقال أيضًا: [الكامل] (في ليلة كفر النجوم غمامها).

ويقال: الكافر سمي بذلك للجحود، كما يقال: كافرني فلان حقي - إذا جحده حقه اهـ والكفر شرعا ضد الإيمان، **قال شيخ الإسلام كما في المجموع (١٢ / ٣٣٥)** : (الكفر عدم الايمان بالله ورسله سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب بل شك وريب أو إعراض عن هذا كله حسدا أو كبرا أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسال). اهـ

وهذا التعريف الذي ذكره المؤلف منتقد فإن المكفرات منها القولية ومنها الفعلية ومنها الاعتقادية وقد انتقد العلماء هذا التعريف علىٰ الإمام الطحاوي؛ **حيث قال في الطحاوية فقرة (٦١)**: (ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله ما فيه) اهـ

قال ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه علىٰ هذا الكلام: هذا الحصر فيه نظر، فإن الكافر يدخل في الإسلام بالشهادتين إذا كان لا ينطق بهما، فإن كان ينطق بهما دخل في الإسلام بالتوبة مما أوجب كفره، وقد يخرج من الإسلام بغير الجحود لأسباب كثيرة بيَّنها أهل العلم في باب حكم المرتد، من ذلك طعنه في الإسلام، أو في النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو استهزاؤه بالله ورسوله أو بكتابه، أو بشيء من شرعه سبحانه؛ لقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ =

الخنزير، أو حل خبز ونحوهما كفر، وهذا كفر الاستحلال فمن استحل شيئًا معلومة حرمته من الدين بالضرورة كفر، ويبين ذلك أن كثيرًا من الناس يتعاطون الحرام من غير استحلال فيكونون آثمين بينما لو استحلوه كفروا، ويذكر هذه المسألة العلماء عند القول فيمن حكم بغير ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ، فالخوارج يكفرون من حكم بغير ما أنزل الله مطلقًا بينما علماء السنة يفرقون بين المستحل وغيره .

قال الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: وأي شيء يخالف الإسلام ننكره لكن الكفر لا نحكم علىٰ الإنسان به إلا إذا كان مستحلًا ويكون عالمًا غير مكره ويرىٰ حكم القوانين مثل حكم الله أو أحسن فهذا يعتبر كافرًا . اهـ

وعلىٰ هذه الفتوىٰ أئمة العصر كالباز والعثيمين والألباني ومن قال بغير هذا القول من علماء السنة فتعتبر من زلاته ولا حول ولا قوة إلا بالله.

= ﴿ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة: ٦٥ – ٦٦] ومن ذلك عبادته للأصنام أو الأوثان أو دعوته الأموات والاستغاثة بهم وطلبه منهم المدد والعون ونحو ذلك؛ لأن هذا يناقض قول: لا إله إلا الله، لأنها تدل علىٰ أن العبادة حق لله وحده، ومنها : الدعاء والاستغاثة والركوع والسجود والذبح والنذر ونحو ذلك، فمن صرف منها شيئا لغير الله من الأصنام والأوثان والملائكة والجن وأصحاب القبور وغيرهم والمخلوقين؛ فقد أشرك بالله ولم يحقق قول: لا إله إلا الله، وهذ المسائل كلها تخرجه من الإسلام بإجماع أهل العلم، وهي ليست من مسائل الجحود، وأدلتها معلومة من الكتاب والسنة، وهناك مسائل أخرىٰ كثيرة يكفر بها المسلم، وهي لا تسمىٰ جحودًا، وقد ذكرها العلماء في باب حكم المرتد، فراجعها إن شئت. وبالله التوفيق.

أو فعل كبيرة: وهي ما فيه حدٌّ في الدنيا أو وعيد في الآخرة[1]، أو داوم على صغيرةٍ

---

(١) هذا أحسن ضابط للكبيرة، **قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٣٥١ – ٣٥٢)**: (وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْكَبَائِرِ علىٰ أَقْوَالٍ :
فَقِيلَ : سَبْعة .
وَقِيلَ : سَبْعَة عَشْرَ .
وَقِيلَ : مَا اتَّفَقَتِ الشَّرَائِعُ علىٰ تَحْرِيمِه .
وَقِيلَ : مَا يَسُدُّ بَابَ الْمَعْرِفَة بالله .
وَقِيلَ : ذَهَابُ الْأَمْوَالِ وَالْأَبْدَانِ .
وَقِيلَ : سُمِّيَتْ " كَبَائِرَ " بِالنِّسْبَة وَالْإِضَافَة إلىٰ مَا دُونَهَا .
وَقِيلَ : لَا تُعْلَمُ أَصْلًا .
أَوْ : أَنَّهَا أُخْفِيَتْ كَلَيْلَة الْقَدْرِ .
وَقِيلَ : إِنَّهَا إلىٰ السَّبْعِينَ أَقْرَبُ .
وَقِيلَ : كُلُّ مَا نَهَىٰ الله عنه فَهُوَ كَبِيرَة .
وَقِيلَ : إِنَّهَا مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا حَدٌّ أَوْ تُوُعِّدَ عَلَيْهَا بِالنَّارِ، أَوِ اللَّعْنَة، أَوِ الْغَضَبِ، وَهَذَا أَمْثَلُ الْأَقْوَالِ .
وَاخْتَلَفَتْ عِبَارَات السلف في تعريف الصغائر :
مِنْهُمْ مَنْ قَالَ : الصَّغِيرَة مَا دُونَ الْحَدَّيْنِ : حَدِّ الدُّنْيَا وَحَدِّ الْآخِرَة . وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : كُلُّ ذَنْبٍ لَمْ يُخْتَمْ بِلَعْنَة أَوْ غَضَبٍ أَوْ نَارٍ .
وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : الصَّغِيرَة مَا لَيْسَ فِيهَا حَدٌّ فِي الدُّنْيَا وَلَا وَعِيدٌ فِي الْآخِرَة، وَالْمُرَادُ بِالْوَعِيدِ : الْوَعِيدُ الْخَاصُّ بِالنَّارِ أَوِ اللَّعْنَة أَوِ الْغَضَبُ، فَإِنَّ الْوَعِيدَ الْخَاصَّ فِي الْآخِرَة كَالْعُقُوبَة الْخَاصَّة فِي الدُّنْيَا، أَعْنِي الْمُقَدَّرَة، فَالتَّعْزِيرُ فِي الدُّنْيَا نَظِيرُ الْوَعِيدِ بِغَيْرِ النَّارِ أَوِ اللَّعْنَة أَوِ الْغَضَبِ . وَهَذَا الضَّابِطُ يَسْلَمُ مِنَ الْقَوَادِحِ الْوَارِدَة علىٰ غيره، فإنه يَدْخُلُ فيه كُلُّ مَا ثَبَتَ بِالنَّصِّ أنه كَبِيرَة، كَالشِّرْكِ، وَالْقَتْلِ، وَالزِّنَا، وَالسِّحْرِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، كَالْفِرَارِ مِنَ الزَّحْفِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلِ الرِّبَا، وَعُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ، وَالْيَمِينِ الْغَمُوسِ، وَشَهَادَة الزُّورِ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ .
وَتَرْجِيحُ هَذَا الْقَوْلِ مِنْ وُجُوه :
أَحَدُهَا : أنه هُوَ الْمَأْثُورُ عَنِ السَّلَفِ، كَابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ عُيَيْنَة، وَابْنِ حَنْبَل، وَغَيْرِهِمْ . الثاني : أَنَّ الله تعالىٰ قَالَ : ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. فَلَا يَسْتَحِقُّ هَذَا الْوَعْدَ الْكَرِيمَ مَنْ أُوعِدَ بِغَضَبِ الله وَلَعْنَتِه وَنَارِه، وَكَذَلِكَ مَنِ اسْتَحَقَّ أَنْ يُقَامَ عليه الْحَدُّ لَمْ تَكُنْ سَيِّئَاتُه مُكَفَّرَة عنه بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ .
الثَّالِثُ : أَنَّ هَذَا الضَّابِطَ مَرْجِعُه إلىٰ مَا ذكره الله ورسوله مِنَ الذُّنُوبِ، فَهُوَ حَدٌّ مُتَلَقًّىٰ مِنْ خِطَابِ =

-وهي ما عدا ذلك- فُسق(١) (٢).

الشَّارِع .
الرَّابِعُ : أَنَّ هَذَا الضَّابِطَ يُمْكِنُ الْفَرْقُ به بَيْنَ الْكَبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ، بِخِلَافِ تِلْكَ الْأَقْوَالِ . فَإِنَّ مَنْ قَالَ: سَبْعٌ، أَوْ سَبْعَ عَشْرَ، أَوْ إِلىٰ السَّبْعِينَ أَقْرَبُ - مُجَرَّدُ دَعْوَىٰ . وَمَنْ قَالَ : مَا اتَّفَقَتِ الشَّرَائِعُ علىٰ تَحْرِيمِه دُونَ مَا اخْتَلَفَتْ فيه - يَقْتَضِي أَنَّ شُرْبَ الْخَمْرِ، وَالْفِرَارَ مِنَ الزَّحْفِ، وَالتَّزَوُّجَ بِبَعْضِ الْمَحَارِمِ، وَالْمُحَرَّمَ بِالرَّضَاعَة وَالصِّهْرِيَّة، وَنَحْوَ ذَلِكَ - لَيْسَ مِنَ الْكَبَائِرِ ! وَأَنَّ الْحَبَّة مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالسَّرِقَة لَهَا، وَالْكِذْبَة الْوَاحِدَة الْخَفِيفَة، وَنَحْوَ ذَلِكَ - مِنَ الْكَبَائِرِ ! وَهَذَا فَاسِدٌ . وَمَنْ قَالَ : مَا سَدَّ بَابَ الْمَعْرِفَة بالله، أَوْ ذَهَابَ الْأَمْوَالِ وَالْأَبْدَانِ - يَقْتَضِي أَنَّ شُرْبَ الْخَمْرِ، وَأَكْلَ الْخِنْزِيرِ وَالْمَيْتَة وَالدَّمِ، وَقَذْفَ الْمُحْصَنَاتِ - لَيْسَ مِنَ الْكَبَائِرِ ! وَهَذَا فَاسِدٌ . وَمَنْ قَالَ : إِنَّهَا سُمِّيَتْ كَبَائِرَ بِالنِّسْبَة إِلىٰ مَا دُونَهَا، أَوْ كُلُّ مَا نَهَىٰ الله عنه فَهُوَ كَبِيرَة - يَقْتَضِي أَنَّ الذُّنُوبَ فِي نَفْسِهَا لَا تَنْقَسِمُ إِلىٰ صَغَائِرَ وَكَبَائِرَ ! وَهَذَا فَاسِدٌ، لأنه خِلَافُ النُّصُوصِ الدَّالَّة علىٰ تَقْسِيمِ الذُّنُوبِ إِلىٰ صَغَائِرَ وَكَبَائِرَ . وَمَنْ قَالَ : إِنَّهَا لَا تُعْلَمُ أَصْلًا، أَوْ إِنَّهَا مُبْهَمَة - فَإِنَّمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِه أنه لَا يَعْلَمُهَا، فَلَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَلِمَهَا غيره . اهـ

(١) **الفاسق**: هو من ارتكب كبيرة أو أصر علىٰ صغيرة، **قال الراغب في "مفردات القرآن" في مادة " فسق"** : (فسق فلان خرج عن حجر الشرع وذلك من قولهم فسق الرطب إذا خرج عن قشره وهو أعم من الكفر.

والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير لكن تعورف فيما كان كثيراً .

وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقر به ثم أخل بجميع أحكامه أو ببعضه، وإذا قيل للكافر الاصلىٰ فاسق فلأنه أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة، قال ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]، ﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦]، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨]، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٤]، ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ﴾ [السجدة: ١٨]، ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥] أي من يستر نعمة الله فقد خرج عن طاعته ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ﴾ [السجدة: ٢٠]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام: ٤٩] ، ﴿ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ١٠٨]، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]، ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ﴾ [السجدة: ١٨] فقابل به الايمان). اهـ

فالفاسق أعم من الكافر والظالم أعم من الفاسق) فكل كافر فاسق وليس كل فاسق كافر.

(٢) هذا هو معتقد أهل السنة في هذه المسألة، وهو موافق للنصوص الواضحة في عدم تكفير مرتكب الكبيرة ما لم يستحل. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾ [الحجرات: ٩] فسماهم مؤمنين مع ما هم فيه من الاقتتال، ولو كان مرتكب المعصية كافر لكان

والإيمان[1]: عقد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان،

= جزاءه القتل ردة، لكن قد وجدنا أن الله عَزَّوَجَلَّ جعل حد الزنا لغير المحصن الجلد، وكذا القذف وشرب الخمر وحد السارق القطع، فتنبه لهذا تسلم من زيغ التكفيريين. ورجع لهذه المسألة الإيمان لأبي عبيد للقاسم بن سلام وقد منَّ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ تحقيقه.

(١) الإيمان في اللغة: مصدر آمن يؤمن إيمانا فهو مؤمن اهـ "تهذيب اللغة" (١٥/ ٥١٣).

وأصل آمن أأمن بهمزتين لينت الثانية، وهو من الأمن ضد الخوف اهـ. "الصحاح" للجوهري (٥/ ٢٠٧١).

قال الراغب: (أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف] "المفردات" (ص٣٥).

والإيمان في اللغة هو الإقرار.

قال شيخ الإسلام: «ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق وعمل القلب الذي هو الانقياد) "الفتاوىٰ" (٧/ ٦٣٨).

الفروق بين الإقرار والتصديق:

١- من جهة التعدي آمن لا يتعدىٰ إلا بحرف إما الباء أو اللام كما في قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾[العنكبوت: ٢٦] وقوله: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فيقال: آمن به وآمن له، ولا يقال: آمنه بخلاف لفظة صدق فإنه يصح تعديها بنفسها.

٢- ليس بين الإيمان والتصديق ترادف في المعنىٰ، فإن الإيمان يطلق علىٰ ما يؤتمن فيها المخبر مثل الأمور الغيبية بينما التصديق يطلق علىٰ الأشياء المحسوسة.

٣- لفظة إيمان في اللغة لا تقابل بالتكذيب، فإذا لم يصدق المخبر في خبره يقال: كذبت، وإذا صدق يقال: صدقت، ويقال: صدقناه وكذبناه، ولا يقال لكل مخبر: أمناه أو كذبناه، ولا يقال: أنت مؤمن له، أو مكذب له، بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر.

يقال مؤمن أو كافر، والكفر لا يختص بالتكذيب، بل لو قال للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أنا أعلم أنك صادق، لكن لا أتبعك، بل أعاديك وأبغضك، وأخالفك، ولا أوافقك لكان كفره أعظم، فلما كان الكفر المقابل للإيمان ليس هو التكذيب فقط علم أن الإيمان ليس هو التصديق فقط.

٤-أن الإيمان في اللغة مشتق من الأمن الذي هو ضد الخوف، فآمن أي صار داخلاً في الأمن، فهو متضمن مع التصديق معنىٰ الائتمان والأمانة كما يدل عليه الاستعمال والاشتقاق، ولهذا قال أخوة يوسف: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ [يوسف: ١٧] أي لا تقر بخبرنا ولا تثق به =

= ولا تطمئن إليه، ولو كنا صادقين؛ لأنهم لم يكونوا عنده ممن يؤتمن علىٰ ذلك، فلو صدقوا لم يأمنهم، أما التصديق فلا يتضمن شيئًا من ذلك راجع "الفتاوىٰ" (٧/ ٢٩٠-٢٩٣) و(٥/ ٥٢٩-٥٣٤). اهـ.

وإن قالوا: إن التصديق مرادف للإيمان؟ **فالجواب من وجهين:**

إحداهما: (لمنع، بل الأفعال تسمىٰ تصديقًا كما ثبت في الصحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العينان تزنيان وزناهما النظر...» **وفيه:** «والفرج يصدق ذلك ويكذبه»، وكذا قال أهل اللغة وطوائف من السلف والخلف.

وكان من مضىٰ من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل العمل من الإيمان والإيمان من العمل.

الثاني: إذا كان أصله التصديق فهو تصديق مخصوص كما أن الصلاة دعاء مخصوص والحج قصد مخصوص والصيام إمساك مخصوص راجع "مجموع الفتاوىٰ" (٧/ ٢٩٣-٢٩٧).

لفظ الإقرار يكون علىٰ وجهين:

إحداهما: الإخبار، وهو من هذا الوجه كلفظ التصديق والشهادة ونحوها، وهذا معنىٰ الإقرار الذي يذكره الفقهاء في كتاب الإقرار.

الثاني: إنشاء الالتزام كما في قوله: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، وليس هو هنا بمعنىٰ الخبر المجرد، فإنه سبحانه قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، فهذا الالتزام للإيمان والنصر للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اهـ "مجموع الفتاوىٰ" (٥/ ٥٣١).

الإيمان في الشرع:

ذهب أهل السنة والجماعة إلىٰ أن الإيمان: قول باللسان وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وبعضهم يعبر عنه (بأنه قول وعمل).

وإلىٰ هذا التعريف ذهب البخاري في "صحيحه" فقال في باب الإيمان: قول وعمل، وبوب صاحب "اللمعة" رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا به.

وقد نقل الحافظ اللالكائي عن مجموعة من السلف قولوهم بهذا القول، وإليك ذكر بعض أسمائهم:

قال اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "شرح أصول أهل السنة" (٥/ ٩٠٧): قال سهل بن المتوكل: أدركت ألف أستاذ أو أكثر كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. =

= وقال يعقوب بن سفيان: أدركت أهل السنة والجماعة على ذلك.

وقال عبد الرزاق: سمعت سفيان الثوري وابن جريج ومالك بن أنس ومعمر بن راشد وسفيان بن عيينة يقولون: (إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص).

وقال عبد الرزاق أيضًا: لقيت اثنين وستين شيخًا منهم: معمر، والأوزاعي والثوري والوليد بن محمد القرشي، ويزيد بن السائب، وحماد بن سلمة وحماد بن زيد، وسفيان بن عيينة وشعيب بن حرب ووكيع بن الجراح ومالك بن أنس وابن أبي ليلى وإسماعيل بن عياش والوليد بن مسلم ومن لم نسمه كلهم يقولون: "**الإيمان قول وعمل يزيد وينقص**".

والمراد بالقول والعمل ما قاله شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "العقيدة الواسطية" (ص١٦١) شرح الهراس.

ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح. اهـ

فمسمى الإيمان عند أهل السنة مرتكزٌ على خمسة أمور:

قول القلب وهو: تصديقه وإيقانه.

قول اللسان وهو: النطق بالشهادتين.

عمل القلب وهو: النية والإخلاص ولمحبة والانقياد، والتوكل وغيرها.

عمل اللسان وهو: الأذكار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكلام المعروف وقراءة القرآن ... إلى غير ذلك.

عمل الجوارح وهو: العمل الذي لا يُؤدى إلا بواسطتها من ركوع وسجود ومشي إلى المساجد وسفر الحج والجهاد وغير ذلك.

وهذا هو تعريف أهل الحق والهدى يدل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] [هذه فيه عمل القلب]. ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٣] وهذه جمعت بين عمل القلب واللسان والجوارح.

أما المرجئة ومن وافقهم: فقد ذهبوا في تعريف الإيمان إلى مذاهب بعيدة عن الحق، فقال بعضهم: هو الإقرار باللسان وتصديق بالجنان، وإلى هذا ذهب الطحاوي، **ومنهم من يقول**: إنه تصديق بالجنان فقط، والإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي، وإلى هذا ذهب الماتريدي، ويُروى عن أبي حنيفة.

وذهب الكرامية إلى: أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط، وذهب الجهمية ومن وافقهم إلى: أنه المعرفة بالقلب. وكل هذه الأقوال باطلة، ومخالفة لطريق أهل الرشد. =

يزيد بالطاعة وينقص هو وثوابه بالعصيان، ويقوى بالعلم، ويضعف بالجهل والغفلة والنسيان(١).

= ((وأبعدها عن الحق قول جهم، فإن لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين فإنهم عرفوا صدق موسىٰ وهارون عليهما السلام ولم يؤمنوا بهما، ولهذا قال موسىٰ لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبنائهم، بل إبليس يكون عند جهم مؤمنًا كامل الإيمان، فإنه لم يجهل ربه، بل هو عارف به ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤] ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف: ١٦] ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، والكفر عند جهم: هو الجهل بالرب ولا أحد أجهل منه بربه)) "شرح الطحاوية" (ص٣٣٢).

وعلىٰ قول الكرامية: يدخل المنافقون في الإيمان مع نفاقهم .

وعلىٰ قول مرجئة الفقهاء بأن الإيمان هو إقرار باللسان واعتقاد يكون الفسقة وقطاع الصلاة وغيرهم من أهل الإجرام كاملي الإيمان؛ لأنهم أقروا بألسنتهم بالإسلام والإيمان، واعتقدوا بقلوبهم. وأنىّ لهم هذا، ورحم الله ميمون بن مهران إذ يقول: عند أن رأىٰ جارية تغني، **فقال**: الخيبة لمن يزعم أن إيمان هذه مثل إيمان مريم بنت عمران.

((**وحاصل الكل** يرجع إلىٰ أن الإيمان إما أن يكون ما يقوم بالقلب واللسان وسائر الجوارح، كما ذهب إليه جمهور السلف من الأئمة الثلاثة وغيرهم رحمهم الله كما تقدم، أو بالقلب واللسان دون الجوارح كما ذكر الطحاوي عن أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله، أو باللسان وحده كما تقدم ذكره عن الكرامية، أو بالقلب وحده وهو إما المعرفة كما قاله الجهم، أو التصديق كما قاله أبو منصور الماتريدي، وفساد قول الكرامية والجهم بن صفوان ظاهر، اهـ)) "من شرح الطحاوية" (ص٣٣٣).

وكذلك قول أبي حنيفة وحماد بن أبي سليمان ومن إليهم من مرجئة الفقهاء وإخراجهم للأعمال من مسمىٰ الإيمان باطل ولا تغتر بمن يقول بأن الخلاف بين أهل السنة وبين مرجئة الفقهاء لفظي .

وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو كاسد فاسد فتنبه و احذر من المزالق في الدين.

(١) هذا صواب فإن من أسباب زيادة الإيمان العلم والعمل قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ =

ويجوز الاستثناء فيه[1]. وقال ابن عقيل[2]: ويسن، والمراد لا على الشك في الحال، بل في المآل أو في قبول بعض الأعمال ونحو ذلك.

= ﴿ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ - ٤] ويضعف بالجهل لأن الجهل سبب لكل شر والعياذ بالله

والقول بزيادة الإيمان ونقصانه هو قول أهل السنة قاطبة، وخالف في ذلك المرجئة والخوارج وكان هذا هو سبب ضلالهم.

واعتمدوا علىٰ البواطيل من مثل (الإيمان لا يزيد ولا ينقص زيادته ونقصانه كفر) وهذا لا يصح عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحال بل الثابت خلاف ذلك علىٰ ما بينته في مقدمة كتاب الإيمان لابن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

وذهبت المرجئة: أن الأعمال خارجة من مسمىٰ الإيمان، فعلىٰ هذا لا تضر معصية، وللوقوف علىٰ مذاهبهم، وبيان فسادها انظر للأهمية كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام.

(١) هذا هو قول أهل السنة؛ **حتىٰ قال بن مهدي**: أصل الإرجاء ترك الاستثناء، والناس في مسألة الاستثناء ثلاث طوائف: منهم من أوجب الاستثناء. وهم الأشاعرة ومن إليهم

ومنهم من حرمه وهم المرجئة ومن إليهم.

وأهل السنة قالوا: يجوز الاستثناء وهو أفضل، وذلك للبعد عن التزكية، أو لعدم علمه بما يختم له أو من باب التبرك بذكر اسم الله عَزَّوَجَلَّ.

وأما إذا كان الاستثناء علىٰ الشك فهو محرم.

قال الشيخ العثيمين في "فتح رب البرية" (ص١٠٢): فإن كان الاستثناء صادرًا عن شك في وجود أصل الإيمان، فهذا محرم بل كفر؛ لأن الإيمان جزم والشك ينافيه، وإن كان صادرًا عن خوف تزكية النفس والشهادة لها بتحقيق الإيمان قولًا وعملًا واعتقادًا، فهذا واجب خوفًا من هذا المحذور، وإن كان المقصود من الاستثناء التبرك بذكر المشيئة أو بيان التعليل، وأن ما قام بقلبه من الإيمان بمشيئة الله فهذا جائز... وبهذا عرف أنه لا يصح إطلاق الحكم علىٰ الاستثناء، بل لا بد من التفضيل السابق. اهـ

ومن أراد النظر في الآثار وأقوال السلف فليرجع إلىٰ "الإيمان" للقاسم بن سلام و"الإيمان" لابن أبي شيبة وقد منَّ الله عليَّ بتحقيقها وهما مطبوعان ففيهما خير و"الشريعة" للآجري و"السنة" للخلال و"السنة" لعبد الله بن أحمد.

(٢) ابن عقيل هو الحنبلي ترجمته في السير (١٩ / ٤٤٢) توفي سنة (٥١٣ هـ).

الفصل الأول: في مسألة العلو[1]

(١) تنوعت دلالة القرآن والسنة علىٰ إثبات هذه الصفة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فتارة تأتي بلفظ الفوقية قال تعالىٰ: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٨] وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الشيخين: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش إن رحمتي رغبت غضبي».

ولا يقال: إن الآيتين يثبت بهما فوقية القدر فقط، بل يثبت له سبحانه فوقية القدر والقهر والذات وفوقية القدر والقهر متفق عليهما بين الأمة وإنما نازع المبتدعة في فوقية الذات.

قال شيخ الإسلام في الفتوىٰ الحموية في نقله عن الأشعري: وقد قال القائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية إن معنىٰ قوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] أنه استولىٰ وقهر وملك وأن الله عَزَّوَجَلَّ في كل مكان وجحدوا أن يكون الله علىٰ عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء إلىٰ القدرة فلو كان كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة ؛ لأن الله قادر علىٰ كل شيء والأرض فالله قادر عليها وعلىٰ الحشوش وعلىٰ كل ما في العالم فلو كان الله مستويًا علىٰ العرش بمعنىٰ الاستيلاء - وهو عَزَّوَجَلَّ مستول علىٰ الأشياء كلها - لكان مستويا علىٰ العرش وعلىٰ الأرض وعلىٰ السماء وعلىٰ الحشوش والأقذار ؛ لأنه قادر علىٰ الأشياء مستول عليها وإذا كان قادرا علىٰ الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول : إن الله مستو علىٰ الحشوش والأخلية لم يجز أن يكون الاستواء علىٰ العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها ووجب أن يكون معنىٰ الاستواء يختص العرش دون الأشياء كلها . وذكر دلالات من القرآن والحديث والإجماع والعقل .اهـ

وتارة يأتي بلفظ العلو قال تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلىٰ: ١] وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وجاء من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم: أنه صلىٰ مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسمعه يقول في سجوده: «سبحان ربي الأعلى».

وتارة يأتي بلفظ الاستواء قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] في عدة سور من القرآن، وقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤]

وتارة يأتي بلفظ في السماء قال الله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك:١٦] الآيتين، أي علىٰ السماء فإن أحرف الجر تتناوب، قال تعالىٰ عن فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ [طه: ٧١] =

= أي علىٰ جذوع النخل، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥] والمراد بفي في إجماع العقلاء علىٰ إذا لا يعقل أن يمشي في باطن الأرض.

وقال رسول الله ﷺ كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه عند البخاري ومسلم: **«ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»**.

وجاء من حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه عند الإمام مسلم: أن رسول الله ﷺ سأل الجارية: **«أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: رسول الله، قال: اعتقها، فإنها مؤمنة»**.

وتارة يأتي بلفظ نزول الأشياء من عنده: ﴿تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢] إلىٰ غير ذلك من الآيات، وكقول رسول الله ﷺ: **«ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر...»** الحديث، أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه وجاء عن عدة من الصحابة رضوان الله عليهم.

والنزول إنما يكون من الأعلىٰ والصعود من أسفل إلىٰ أعلىٰ

وتارة يأتي بلفظ صعود الأشياء إليه قال تعالىٰ: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] .

وتارة يأتي بلفظ العروج كقوله: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج: ٤] والعروج يكون صعودًا من الأسفل إلىٰ الأعلىٰ.

ومن أصرح الأدلة أيضًا علىٰ ذلك حديث المعراج، وأن النبي ﷺ عرج به حتىٰ انتهىٰ إلىٰ مستوىٰ يسمع فيه صريف الأقلام، أخرجه الشيخان في حديث أبي حبة الأنصاري وابن عباس. وحديث أنس رضي الله عنهم.

وتارة يأتي بلفظ الرفع إليه قال تعالىٰ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨] وقال تعالىٰ : ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] .

وتارة يأتي بالإشارة إلىٰ السماء، فقد أخرج الإمام مسلم من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خطب يوم عرفة وكان يرفع أصبعه إلىٰ السماء وينكتها إلىٰ الأرض ويقول: **«اللّٰهم أشهد»**.

وهذا التنوع يدل علىٰ أن صفة العلو ثابتة لله تعالىٰ، و الأدلة علىٰ علوه فكثيرة جدًا، وإنما ذكرنا بعضها فائدة للمستبصر وحجة علىٰ المتكبر.

وقد أجمع السلف رضوان الله عليهم قاطبة علىٰ علو الله سبحانه وتعالىٰ بذاته، وأنه مستوي علىٰ عرشه، بائن من خلقه، تعالىٰ الله عن قول الحلولية علوًا كبيرًا. =

= والفطرة السليمة تدل علىٰ أن الله في السماء، فلا يصيب الإنسان خطب من الخطوب إلا وتعلق قلبه بالسماء. ((**فقد جاء عن أبي جعفر الهمذاني**: أنه حضر مجلسًا لأبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين وهو يتكلم في نفي صفة العلو وهو يقول: كان الله ولا عرش، وهو الآن علىٰ ما كان، فقال أبو جعفر: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فإنه ما قال عارف قط يا الله إلا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا؟ فلطم أبو المعالي علىٰ رأسه ونزل، قال: وبكىٰ وقال: حيرني الهمذاني حيرني الهمذاني، أراد الشيخ أن هذا أمرٌ فطر الله عليه عباده من غير أن يتلقوه من المعلمين يجدون في قلوبهم طلبًا ضروريًا يتوجه إلىٰ الله ويطلبه في العلو)). اهـ من "شرح الطحاوية".

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإليه أيدي السائلين توجهت ❁❁ نحو العلو بفطرة الرحمن

وإليه آمال العباد توجهت ❁❁ نحو العلو بلا تواصٍ ثاني

بل فطرة الله التي لم يفطروا ❁❁ إلا عليها الخلق والثقلان

ونظير هذا أنهم فطروا علىٰ ❁❁ إقرارهم لا شك بالديان

لكن أولوا التعطيل منهم أصبحوا ❁❁ مرضىٰ بداء الجهل والخذلان

وقال في موضع آخر:

وعلوه فوق الخليقة كلها ❁❁ فطرت عليه الخلق والثقلان

لا يستطيع معطل تبديلها ❁❁ أبدًا وذلك سنة الرحمن

كل إذا ما نابه أمرٌ يُرىٰ ❁❁ متوجهًا بضرورة الإنسان

نحو العلو فليس يطلب خلفهُ ❁❁ وأمامه أو جانب الإنسان

قال ابن القيم في "الصواعق" (/ ١٢٨١): وجميع الطوائف تنكر قول المعطلة؛ إلا من تلقاه منهم، وأما العامة من جميع الأمم ففطرهم جميعهم مقرة بأن الله فوق العالم اهـ.

ومع أن العلو ثابت بالكتاب والسنة حتىٰ و لو لم تدل عليه العقول لوجب الإيمان بما أخبر الله تعالىٰ به و انتفاء الدليل لا يدل علىٰ انتفاء المدلول فالعلو ثابت بدلالة السمع الذي لا يأتيه =

= الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومع ذلك قد دل العقل علىٰ هذه الصفة من عدة وجوه:
الوجه الأول: أنه ليس ثم إلا علو أو سفل، والعلو صفة كمال، والسفل صفة نقص، والله جل وعز متنزه عن النقائص. قال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الروم: ٢٧]
ومعلوم من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله لا تحيطه المخلوقات ولا تحويه جل وعز، وقد تقدم أنه متنزه عن السفل، فثبت أنه في العلو جل وعز، ولكن المعطلة قومٌ بهت لا يعقلون حديثًا، مسخت فطرهم وتبلدت أذهانهم، فلا يعرفون إلا ما أشرب من هواهم، فنعوذ بالله من الخذلان.

وزاد ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "شرح الطحاوية" (ص٣٢٥): الثاني: أنه لما خلق العالم، فإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجًا عن ذاته، والأول باطل:

أما أولًا: فبالاتفاق، **وأما ثانيًا**: فلأنه يلزم أن يكون محلًا للخسائس والقاذورات -تعالىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرًا-.

والثاني: يقتضي كون العالم واقعًا خارج ذاته، فيكون منفصلًا، فتعينت المباينة؛ لأن القول أنه غير متصل بالعالم وغير منفصل غير معقول.

الثالث: أن كون الله لا داخل العالم ولا خارجه ينفي وجوده بالكلية. اهـ

وكما هي عادة أهل الزيغ والريب أنهم يتمسكون بالطحلب ويظنونه حبلًا، فقد ذهب بعضهم إلىٰ أن المراد بالفوقية أنه خير من عباده وأفضل، وأنه خير من العرش وأفضل منه، وما أسمج وأسخف أصحاب هذا القول الذين يتنقصون به الله تعالىٰ وتقدس عن النقائص وهم لا يشعرون.

قال ابن أبي العز في "شرح الطحاوية" (ص٣٢٣): **فإن قول القائل**: ابتداء الله خير من عباده، وخير من عرشه هو من جنس قول القائل: الثلج بارد والشمس حارة، والشمس أضوأ من السراج، ورسول الله أفضل من فلان اليهودي، والسماء فوق الأرض، وليس في ذلك تمجيد ولا تعظيم، ولا مدح، بل هو من أرذل الكلام وأسمجه وأهجنه، فكيف بكلام الله الذي لو اجتمع الإنس والجن علىٰ أن يأتوا بمثله لما أتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، بل في ذلك تنقص كما قيل:

ألـم تـر أن السـيف يـنقص قـدره إذا ❁❁ قيـل إن السـيف أمضـىٰ مـن العصـا

ولو قال قائل: الذهب فوق قشر البصل، وقشر السمك لضحك منه العقلاء للتفاوت الذي بينهما، فإن التفاوت بين الخالق والمخلوق أعظم وأعظم بخلاف ما إذا كان المقام يقتضي ذلك، بأن =

= كان احتجاجًا علىٰ مبطل كما في قول يوسف: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩] وقوله: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩] وقوله: ﴿ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [القصص: ٦٠] وإنما يثبت هذا المعنىٰ من الفوقية في ضمن إثبات الفوقية المطلقة من كل وجه، فله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فوقية القهر وفوقية القدر وفوقية الذات، من أثبت البعض ونفىٰ البعض فقد تنقص وعلوه سبحانه مطلق من كل الوجوه. اهـ

وقال الإمام ابن القيم في "الكافية" في رده علىٰ من قال: إن الفوقية فوقية القدر والقهر:

والفوق وصف ثابت بالذات من ❁❁ كل الوجوه لفاطر الأكوان

لكن نفاة الفوق ما وافوا به ❁❁ جحدوا كمال الفوق للديان

بل فسروه بأن قدر الله أعـ ❁❁ ـلىٰ لا بفوق الذات للرحمن

قالوا وهذا مثل قول الناس في ❁❁ ذهب يرىٰ من خالص العقيان

هو فوق جنس الفضة البيضاء لا ❁❁ بالذات بل في مقتضىٰ الأثمان

والفوق أنواع ثلاث كلها ❁❁ لله ثابتة بلا نكران

هذا الذي قالوا وفوق القهر والـ ❁❁ ـفوقية العليا علىٰ الأكوان

وأما الأدلة التي فيها ذكر استواء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ عرشه فقد صرفها أهل التعطيل عن ظاهرها بدون مسوغ ولا دليل من الكتاب أو السنة، أو قول صاحب أو تابع ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣]، فقالوا: هي بمعنىٰ استولىٰ وعمدتهم في ذلك قول قاله الأخطل النصراني:

قد استوىٰ بشر علىٰ العراق ❁❁ من غير سيف أو دم مهراق

وقد أحسن شيخ الإسلام إذ يقول:

قبحًا لمن نبذ القرآن ورآه ❁❁ وإذا استدل بقول قل الأخطل

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

ودليلهم في ذاك قوله ❁❁ فيما يُقال الأخطل النصراني

وهم والله شابهوا اليهود حين قيل لهم: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] فدخلوا =

= الباب يزحفون علىٰ أساتهم وقالوا: حبة في شعيرة.

وقد قال ابن القيم في ذلك:

نـــــون اليهـــــود ولام جهمـــــي ❁❁ همـــا في وحـــي ديـــن الله زائـــدتان

وهم يردون خبر الآحاد ويقبلون خبر هذا الواحد الكافر.

وإن سلمنا أنه مسلم فهو من الشعراء المولّدين الذين لا يحتج بشعرهم في اللغة.

وكذلك رجل قد تعكرت عقيدته بالمعتقدات السابقة، فلم يتخلص منها ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] .

وقد رد ابن القيم هذه الشبهة السقيمة العليلة التي هي أوهىٰ من خيط العنكبوت كما في "مختصر الصواعق" (٢/ ١٢٦) **بوجوه كثيرة نورد بعضها باختصار:**

الأول: أن لفظ الاستواء في لغة العرب التي خاطبنا الله بلغتهم، وأنزل بها كلامه، نوعان: مطلق ومقيد، فالمطلق ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾ [القصص: ١٤] وهذا معناه كمل وتم، وأما المقيد فثلاثة **أضراب:**

١- **مقيد بـ(إلىٰ)** كقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩] وهذا مذكور في موضعين من كتاب الله في سورة البقرة وسورة فصلت، وهذا بمعنىٰ العلو والارتفاع بإجماع السلف كما سنذكره.

قال العثيمين: (فيكون المعنىٰ قصد إليه علوًا وارتفاعًا).

٢- **المقيد بـ(علىٰ)** كقوله ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ١٣] ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤] **وقوله:** ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وهذا أيضًا معناه العلو والارتفاع بإجماع أهل اللغة.

٣- **المقرون بـ(واو)** مع التي تعدي الفعل إلىٰ المفعول معه نحو: استوىٰ الماء والخشبة، بمعنىٰ ساواها، وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم ليس فيها معنىٰ استولىٰ البتة، ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم، وإنما قاله متأخرو النحاة ممن سلك طريق المعتزلة والجهمية.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الوجه الثالث: أن أهل اللغة لما سمعوا ذلك –أي استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ– أنكروه غاية الإنكار ولم يجعلوه من لغة العرب.

قال ابن العربي: عند أن سئل: هل استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ: لا تعرف العرب ذلك، وهذا من أكابر =

= أئمة اللغة.

الوجه الرابع: (**نقل قول الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ): لو كان الاستواء هاهنا بمعنىٰ الاستيلاء لكان الكلام عديم الفائدة؛ لأن الله تعالىٰ قد أحاط علمه وقدرته بكل شيء، فما معنىٰ تخصيص العرش بالذكر، ثم إن الاستيلاء إنما يتحقق معناه عند المنع من الشيء، فإذا وقع الظفر به قيل: استولىٰ عليه، فأي منع كان هناك، حتىٰ يوصف بالاستيلاء. اهـ

قال ابن القيم في نونيته:

أَمـــرَ اليهـــود أن يقولـــوا حطـــة ❁❁ فـــأبوا وقـــالوا حنطـــة لهـــوان

وكـذلك الجهمـي قيـل لـه: اسـتوىٰ ❁❁ فـــأبىٰ وزاد الحـــرف للنقصـــان

قـال اسـتوىٰ اسـتولىٰ وذا مـن جهلـه ❁❁ لغـــة وعقـــلًا مـــا همـــا ســـيان

نـــون اليهـــود ولام جهمـــي همـــا ❁❁ في وحـــي رب العـــرش زائـــدتان

وكـــذلك الجهمـــي عطـــل وصـــفه ❁❁ ويهـــود قـــد وصـــفوه بالنقصـــان

فهمـــا إذاً في نفـــيهم لصـــفاته الـــ ❁❁ ـــعُليا كمـــا بينتـــه أخـــوان

وهذا الذي ذكرنا قليل من كثير، وغيض من فيض، يسترشد به المستبصر، ويعمىٰ عنه المعرض المتكبر.

نسأل الله العون والسداد والتوفيق والرشاد، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب.

وقد اعترض أهل الضلال والريب علىٰ الدليل الفطري وأن القلوب مفطورة علىٰ التعلق بالعلو أن السماء قبله الدعاء

والرد عليهم من وجوه:

الأول: لو كانت السماء قبلة الدعاء للزم التوجه إليها عند الدعاء، وهذا لم يرد عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا عن الصحابة الكرام ولا التابعين لهم بإحسان، بل ورد أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستقبل القبلة في كثير من دعاءه كما في حديث عبد الله بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المتفق عليه أنه خرج يستسقي فاستقبل القبلة يدعو، وكما في حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند مسلم في وصف حجة الوداع وأنه استقبل القبلة يدعو طويلًا في كل وقوف علىٰ الصفا والمروة، ولما كان في عرفة استقبل القبلة يدعو.. الحديث بطوله، إلىٰ غير ذلك من الأدلة. =

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فنقول وبالله التوفيق:

(مذهب سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل[1]،، فيثبتون له ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات وينزهونه عما نزه عنه نفسه من مماثلة المخلوقات إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، قال تعالى: ﴿ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] [2].

= الثاني: أنه قد ورد النهي عن استقبال السماء ورفع البصر إليها عند الدعاء قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليتهين أقوام عن رفعهم أبصارهم عند الدعاء في الصلاة أو لا ترجع إليهم...» الحديث أخرجه مسلم من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وجاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بمعناه.

الثالث: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد رغب في الدعاء في السجود وحال الساجد مستدبرًا للسماء كما هو معلوم، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «وأما السجود فأكثروا فيه من الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم»، أخرجه مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الرابع: قولهم: إن السماء قبلة الدعاء قول محدث لم يقله أحد من السلف إلىٰ غير ذلك من الأوجه التي ذكرها أهل العلم.

(١) التكيف: جعل الشيء علىٰ ماهية معينة من غير تقيدها بمماثل، وهو عبارة عن حكاية كيفية الصفة، كقول القائل: كيفية يد الله كذا، أو نزوله إلىٰ السماء، كذا وكذا.

والمثيل في اللغة: الند والنظير، وفي الاصطلاح: اعتقاد أن صفات الخالق مثل صفات المخلوق.

والفرق بين التمثيل والتكييف: أن التمثيل ذكر كيفية الصفة مقيدة بمماثل، والتكييف ذكر كيفية الصفة غير مقيدة بمماثل، فكل تمثيل تكيف وليس كل تكيف تمثيل.

انظر: "فتح رب البرية" (ص١٦) و"شرح لمعة الاعتقاد" (ص١٢) كلاهما للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) هذه قاعدة مهمة في هذا الباب تناقلها الخلف عن السلف وهي قاعدة جامعة مانعة في بابها فيها =

فقوله: ﴿ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ ردٌ على المُمَثِّلَةِ، وقوله: ﴿ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١] رد على المعطلة(١).

قال بعض العلماء: (المعطل يعبد عدمًا والممثل يعبد صنمًا، والموحد يعبد إلهًا واحدًا صمدًا)(٢).

= الرد علىٰ طائفة المعطلة والممثلة، فقوله: من غير تحريف ولا تعطيل رد علىٰ المعطلة، وقول ومن غير تكيف ولا تمثيل، رد علىٰ الممثلة، فأهل السنة في هذا الباب وغيره وسط بين طرفين وهدىٰ بين ضلالتين وحق بين باطلين.

وأما التحريف فهو: التغيير والتبديل، وينقسم إلىٰ قسمين: تحريف (لفظي)، وتحريف: (معنوي)، وفي الغالب أن كل تحريف لفظي معنوي كقولهم: "وكلم اللهَ" بفتح الهاء في الجلالة، فيكون الله عَزَّوَجَلَّ هو المُكلَم لا المكُلِّم، فهذا تحريف لفظي معنوي.

وأما التحريف المعنوي: كتفسيرهم استوىٰ، بمعنىٰ استولىٰ.

والتعطيل في اللغة: هو التفريغ، قال تعالىٰ: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ [الحج: ٤٥] أي: مفرغة.

وفي الاصطلاح: تعطيل الله عَزَّوَجَلَّ عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله، والمعطلة قسمان أصحاب تعطيل كلي، وهم الجهمية، ومن زاد عليهم من الفلاسفة يعطلون الله عَزَّوَجَلَّ من أسمائه وصفاته، وأصحاب تعطيل جزئي كالمعتزلة والأشاعرة، فالمعتزلة أثبتوا الأسماء ونفوا ما تضمنته من الصفات، والأشاعرة أثبتوا الأسماء وبعض الصفات التي يزعمون أن العقل قد دل عليها، وهي المجموعة في قول القائل:

حي سميع قادر علام ❁❁ له السمع والبصر والكلام

(١) وهذه الآية عمدة في هذا الباب، فيها ردٌ علىٰ طائفتين، وفيها الطريق الواضح الجلي في هذا الباب الذي يسلكه أهل السنة: في الاعتقاد والرد علىٰ المعطلين والممثلين وقد ضل المعطلة، حيث استدلوا بأولها ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾، والممثلة استدلوا بآخرها ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، ولم يلتفتوا إلىٰ أولها، فضل كلاهما بينما أهل السنة جعلوها عمدة لهم وعلموا أن الله عَزَّوَجَلَّ يثبت له ما أثبته لنفسه بعيدًا عن التمثيل والتكيف. والله أعلم.

(٢) لأن المعطل يزعم بأن ربه لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم، بل غاليتهم يقولون: لا موجو ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، ولا فوق ولا تحت، وهذا الوصف إنما يوصف به المعدوم، والممثل عكسه يزعم أن صفات الله الرب كصفات المخلوقين المربوبين، فصار عندهم مثل الصنم وليس =

وهو سبحانه قد قال في كتابه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾ [الملك: ١٦ – ١٧](١)

وثبت في "الصحيح": عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال للجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال: «أعقها فإنها مؤمنة»، وهذا الحديث رواه مالك والشافعي وأحمد بن حنبل ومسلم في «صحيحه» وغيرهم(٢).

لكن ليس معنى ذلك أن الله في جوف السماء، وأن السماوات تحصره وتحويه، فإن هذا لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل هم متفقون على أن الله فوق سماواته على عرشه(٣) بائن من خلقه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته،

= المتصف بالكمال المقدس من كل وجه. وانظر شرح النونية (١٢٠) .

(١) قوله: (في السماء)، أي في العلو، فإن السماء تأتي بمعنىٰ العلو، فلا يُظن بأن السماء ظرف له، فهذا باطل، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠] وقال: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وأما أن تكون في هنا بمعنىٰ علىٰ. قال الله: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥] أي علىٰ منكبها، وقال مخبرًا عن فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه: ٧١] أي علىٰ جذوع النخل، فيكون المعنىٰ ءأمنتم الله الذي علىٰ السماء، والله أعلم.

(٢) أخرجه مسلم رقم (٥٧٣) ومالك في الموطأ كتاب العتق باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة (٥٩٥) ط دار الحديث وللحديث طرق وشواهد كثيرة انظره في التمهيد (١٢ / ٢٠٥) وما بعده في هذا الحديث الرد علىٰ من يزعم أن لله لا يُسأل عنه بالـ(أين) وهذا يوجد في عقائد المخالفين البطالين من الأشاعرة والرافضة والصوفية والجهمية والمعتزلة، ويزيدون علىٰ ذلك ويقولون ولا يُشار إليه مع أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في حجة الوداع: «اللهم اشهد» يرفع أصبعه السبابة إلىٰ السماء وينكتها إلىٰ الأرض أخرجه مسلم (١٢١٨) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذه الإشارة في وجود أكثر من مائة ألف صحابي، لا يستنكرون من ذلك شيئًا، ثم يأتي الجهلة بعد ذلك يتشدقون بما ليس لهم به علم.

(٣) العرش في اللغة: السَّرير الخاص بالملك، وفي الشرع: العرش العظيم الذي استوىٰ عليه الرحمن =

ولا في ذاته شيء من مخلوقاته[1].

وقد قال مالك بن أنس: إن الله في السماء وعلمه في كل مكان[2].

وقالوا لعبد الله بن المبارك: بماذا نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سماواته

= جل جلاله، وهو أعلىٰ المخلوقات وأكبرها، وصفه الله أنه عظيم، وأنه كريم وبأنه مجيد. ويفسره أهل الباطل بالملك، وهذا باطل، فقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن له قوائم، وبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن له ظل إلىٰ غير ذلك من الصفات. وزد علىٰ ذلك أن لازم هذا أن الله مستوي علىٰ جميع المخلوقات علىٰ الحشوش والخلوات تعالىٰ الله عن قول المبطلين علوا كبيرا وقد تكلمت علىٰ كثير من خصائصه في كتابي شرح أصول السنة لان أبي زمنين .

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في "الفتوح الحموية" (ص١٠٥): ثم من توهم أن كون الله السماء بمعنىٰ أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب إن نقله عن غيره، وضال إن اعتقده في ربه، وما سمعنا أحدًا يفهمه من اللفظ، ولا رأينا أحدًا نقله عن واحد.

ولو سُئل سائر المسلمين: هل يفهمون من قول الله ورسوله: إن الله في السماء. أن السماء تحويه لبادر كل أحد منهم أن يقول: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا.

وإذا كان الأمر هكذا فمن التّكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئًا محالًا لا يفهمه الناس منه، ثم يريد أن يتأوله، بل عند المسلمين أن الله في السماء، وهو علىٰ العرش، إذ السماء إنما يراد به العلوم، فالمعنىٰ أن الله في العلو لا في السُّفل. وقد علم المسلمون أن كرسيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وسع السماوات والأرض، وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له إلىٰ قدرة الله وعظمته، فكيف يتوهم بعد هذا أن خلقًا يحصره ويحويه؟!! وقد قال سبحانه: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] وقال: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧] بمعنىٰ (علىٰ) ونحو ذلك، وهو كلام عربي حقيقة لا مجازًا. وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف وأنها متواطئة في الغالب لا مشتركة اهـ. والقول بأن الله حال في شيء من مخلوقاته يؤدي إلىٰ الحلول –والعياذ بالله– وقد تقدم الكلام عليه.

(٢) أخرجه أبو داود في مسائله عن أحمد (ص٢٦٣) وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ١٠٦-١٠٧) ومن طريقه ابن مندة في التوحيد رقم (٨٩٣) واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة رقم (٦٧٣) والآجري في الشريعة رقم (٦٥٢-٦٥٣) وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٣٨).

على عرشه بائنٌ من خلقه[1].

وقال أحمد بن حنبل كما قال هذا وهذا[2]، وقال الأوزاعي: كُنا والتابعون متوافرون نقرُّ بأن الله فوق عرشه، بما وردت به السنة من صفاته[3].

فمن اعتقد أن الله في جوف السماء أو محصور محاط به، أو أنه مفتقر إلى العرش أو غير العرش من المخلوقات، أو أن استواءه على عرشه كاستواء المخلوق على كرسيه فهو ضال مبتدع جاهل[4].

---

(١) أخرجه بنحوه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ١١١) رقم (٢٢، ٥٩٨) وأخرجه ابن مندة في التوحيد رقم (٨٩٩) وابن بطة في الإبانة (١١٢) وأبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف (٢٨) والبيهقي في الأسماء والصفات (٩٢).

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة (١١٥) وذكره اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة رقم (٦٧٤) والأثر في العلو للذهبي (٤٣٨).

(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٥) وأخرجه الذهبي في السير (٧/ ١٢٠-١٢١) وفي تذكرة الحفاظ (١/ ١٣) وذكره في العلوم (٣٣٤) وسنده عند البيهقي صحيح.

قال شيخ الإسلام في الحموية (٢٩٩): روىٰ البيهقي بإسناد صحيح عن الأوزاعي ثم ذكر الأثر.

(٤) بل من زعم أن الله محصورٌ محاط به وأنه مفتقر إلىٰ العرش فهذا كفر –والعياذ بالله– أليس الله يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

قال ابن أبي العز في "شرح الطحاوية" (ص٢٨٠-٢٨١): (أما قوله: "وهو مستغن عن العرش وما دونه". فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]). وإنما قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الكلام هنا، لأنه لما ذكر العرش والكرسي، ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش، ليبين أن خلقه للعرش واستواءه عليه، ليس لحاجته إليه، بل له في ذلك حكمة اقتضته، وكون العالي فوقًا للسافل، لا يلزم أن يكون السافل حاويًا للعالي، محيطًا به، حاملًا له، و لا أن يكون الأعلىٰ مفتقرًا إليه. فانظر إلىٰ السماء، كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها؟ فالرب تعالىٰ أعظم شأنًا وأجل من أن يلزم من علوه ذلك، بل لوازم علوه من خصائصه، وهي حمله بقدرته للسافل، وفقر السافل، وغناه هو =

= سبحانه عن السافل، وإحاطته عَزَّوَجَلَّ به، فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته، وغناه عن العرش، وفقر العرش إليه، وإحاطته بالعرش، وعدم إحاطة العرش به، وحصره للعرش، وعدم حصر العرش له. وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق.

ونفاة العلو، أهل التعطيل، لو فصلوا بهذا التفصيل، لهدوا إلىٰ سواء السبيل، وعلموا مطابقة العقل للتنزيل، ولسلكوا خلف الدليل، ولكن فارقوا الدليل، فضلوا عن سواء السبيل. والأمر في ذلك كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لما سئل عن قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] كيف استوىٰ ؟ **فقال**: الاستواء معلوم والكيف مجهول. ويروىٰ هذا الجواب عن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا موقوفًا ومرفوعًا إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وأما قوله: (**محيط بكل شيء وفوقه**)، **وفي بعض النسخ** (**محيط بكل شيء فوقه**) بحذف الواو من قوله (**فوقه**)، والنسخة الأولىٰ هي الصحيحة. **ومعناها**: أنه تعالىٰ محيط بكل شيء وفوق كل شيء. ومعنىٰ الثانية: أنه محيط بكل شيء فوق العرش. وهذه -والله أعلم- إما أن يكون أسقطها بعض النساخ سهوا، ثم استنسخ بعض الناس من تلك النسخة، أو أن بعض المحرفين الضالين أسقطها قصدا للفساد، وإنكارا لصفة الفوقية! وإلا فقد قام الدليل علىٰ أن العرش فوق المخلوقات وليس فوقه شيء من المخلوقات، فلا يبقىٰ لقوله: "محيط"- **بمعنىٰ**: محيط بكل شيء فوق العرش، -والحالة هذه-: معنىٰ ! إذ ليس فوق العرش من المخلوقات ما يحاط به، فتعين ثبوت الواو، ويكون المعنىٰ: أنه سبحانه محيط بكل شيء، وفوق كل شيء.

أما كونه محيطًا بكل شيء، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [البروج: ٢٠]، ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: ٥٤]، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦] وليس المراد من إحاطته بخلقه أنه كالفلك، وأن المخلوقات داخل ذاته المقدسة، تعالىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وقوله أيضًا: (**أو أن استواءه على كرسيه كاستواء المخلوق على كرسيه**) هذا كفر، وتشبيه وتعطيل، **وقد قال نعيم بن حماد الخزاعي**: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن عطل الله من صفاته كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه تعطيل ولا تمثيل. وكونه ضالًا؛ لأنه قال غير الحق واعتقد غير الحق والبدعة هنا بدعة مكفرة لأن لازم ذلك أن يكون الله محتاجا إلىٰ شيء من مخلوقاته مع أن الله يقول : ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] وكونه جاهلًا بعظمة الله وحقه قال الله عز و جل : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ =

ومن اعتقد أنه ليس فوق السماوات إله يعبد، ولا على العرش رب يُصلى له ويُسجد، وأن محمدًا لم يُعرج به إلى ربه[1]، ولا نزل القرآن من عنده[2] فهو معطل فرعوني ضال مبتدع، فإن فرعون كذَّب موسى في أن ربه فوق السماوات، وقال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧]

ومحمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صدَّق موسى في أن ربه فوق السماوات، فلما كان ليلة المعراج، وعُرج به إلى الله تعالى، وفرض عليهِ ربُّهُ خمسين صلاة، ذكر أنه رجع إلى موسى، وأن موسى قال له: «ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فإن أمتك لا تطيق...» الحديث، فرجع إلى ربه فخفف عنه عشرًا، ثم رجع إلى موسى فأخبره بذلك، فقال: «ارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك»، وهذا الحديث في الصحاح[3].

= ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

(١) أقول: أدلة المعراج مخرجة في الصحيحين وغيرهما عن أنس أخرجه البخاري (٣٥٧) ومسلم (١٦٢)، وأبي ذر أخرجه البخاري (٣٤٩) ومسلم (١٦٣) ومالك بن صعصعة البخاري (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤)، وهي من أقوىٰ الأدلة علىٰ علو الله جل وعز، وتردد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين موسىٰ وبين ربه يدل علىٰ ذلك، ولو كان الله في كل مكان كما يزعمون بذاته لما كان في العروج مزية ولا شرف، والعروج هو الصعود من أسفل إلىٰ أعلىٰ

* تنبيه: في رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر التي أخرجها البخاري (٧٥١٧).وأشار إليها مسلم في مجموعة من الأغلاط بينها العلماء وكان عروجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقضة لا منامًا إذ لوكان منامًا لما أنكرت عليه قريش الإسراء لما أخبرهم به إذا كل واحد ربما رأىٰ في منامه فوق ما يتصور في الواقع وأيضًا كان الإسراء والمعراج بالروح والجسد معًا علىٰ ما هو مبين في مواضعه .

(٢) مع أن الله يقول: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة: ٢] والنزول يكون من الأعلىٰ إلىٰ الأسفل.

(٣) تقدم تخريجه قبل في إشارتنا إلىٰ أحاديث المعراج .

فمن وافق فرعون وخالف موسى ومحمدًا فهو ضال، ومن مثل الله بخلقه فهو ضال[1].

قال نعيم بن حماد: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو رسوله تشبيهًا[2].

---

(١)هذه العبارة مذكورة في فتاوىٰ شيخ الإسلام (٥/ ٢٥٨-٢٥٩). وبيانه أن الله عَزَّوَجَلَّ يخبر عن فرعون بقوله : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧] . فموسىٰ ومحمد عليهما السلام أخبرا أن الله في السماء علىٰ عرشه وفرعون أنكر ذلك .

(٢) أخرجه الذهبي في العلو رقم (٤٢٩) وابن عساكر في تاريخه (١٧/ ٦١٢) وذكره اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (٩٣٦) والأثر يتناقله العلماء لشهرته وكونه دامغًا للمنحرفين في باب الأسماء والصفات وذكر اللالكائي رقم (٩٣٧)عن إسحاق بن راهويه نحوه ولفظه: من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهوكافر بالله العظيم لأنه وصف لصفاته إنما الأمر هو الاستسلام ولما سن الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وهذا التكفير عند الإطلاق أما التعيين فلا بد من انتفاء الموانع وتوفر الشروط في الشخص المعين قال شيخ الإسلام كما في المجموع (١٢ / ٤٨٧): (ولم يتدبروا أن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين وان تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين اطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه) . اهـ

وقال (٧ / ٦١٩): (والتحقيق في هذا أن القول قد يكون كفرا كمقالات الجهمية الذين قالوا: إن الله لا يتكلم ولا يرىٰ في الآخرة ولكن قد يخفىٰ علىٰ بعض الناس أنه كفر فيطلق القول بتكفير القائل كما قال السلف من قال القرآن مخلوق فهو كافر، ومن قال: أن الله لا يرىٰ في الآخرة فهو كافر ولا يكفر الشخص المعين حتىٰ تقوم عليه الحجة كما تقدم كمن جحد وجوب الصلاة والزكاة واستحل الخمر والزنا وتأول فإن ظهور تلك الأحكام بين المسلمين أعظم من ظهور هذه فإذا كان المتأول المخطئ في تلك لا يحكم بكفره إلا بعد البيان له وإستتابته كما فعل الصحابة في الطائفة الذين استحلوا الخمر ففي غير ذلك أولىٰ وأحرىٰ) اهـ

والله تعالى قد فطرَ العبادَ عربهم وعجمهم على أنهم إذا دعوا الله توجهت قلوبهم إلى العلوِّ لا يقصدونه تحت أرجلهم، ولهذا قال بعض العارفين: ما قال عارفٌ قط: يا الله إلا وجد في قلبه قَبْلَ أن يتحرك لسانه معنىً يطلب العلو ولا يلتفت يمنةً ولا يسرة[1].

(١) الخبر ذكره الذهبي في العلو (٥٣٨) وانظره في طبقات السبكي (٥/ ١٩٠) وهو مذكور في شرح الطحاوية لابن أبي العز (٣٩٠) عن الإمام أبي جعفر محمد بن أبي علي الهمداني .

الذات والصفات [1]

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والكلام في هذا المقام وشبهه يتبين بذكر أصل أصيل: وهو أن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات، فكما أنّا نثبت له تعالى ذاتًا لا تشبه الذوات، فكذا نقول في صفاته إنها لا تشبه الصفات، فليس كعلمه علم أحد، ولا كقدرته قدرة أحد، ولا كرحمته رحمة أحدٍ، ولا كاستوائه استواء أحدٍ، ولا كسمعه وبصره سمع، ولا بصر ولا كتكليمه تكليم أحدٍ، ولا كتجليه تجلِّي أحدٍ[2]،[3].

---

(١) الكلام في بيان قواعد هذا الباب يطول، وقد ذكرت الكثير منها في "شرحي علىٰ أصول السنة لابن أبي زمنين" وفي كتابي" فتح الباري علىٰ شرح السنة للبربهاري" وفي الرسالة التي جعلتها في "ضابط تحديث العوام بآيات وأحاديث الصفات" وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ الكثير من هذا الباب في كتابه بدائع الفوائد والشيخ ابن عثيمين في كتابه القواعد المثلىٰ والبريكان في كتابه القواعد الكلية والتميمي في كتابه قواعد الصفات وصفات الله عَزَّوَجَلَّ هي نعوت جلاله الكاملة من كل وجه والتي لا يعتريها نقص بوجه من الوجوه وينبغي عند الإثبات أن تتخلىٰ من محذورين **الأول**: التمثيل، **والثاني**: التكيف وعند التنزيه تتخلىٰ من محذورين: **الأول**: التعطيل **والآخر**: التحريف بل نجمع لله عَزَّوَجَلَّ بين النفي والإثبات كما جمع بينهما لنفسه ونتوقف في الأثبات والنفي علىٰ الأدلة الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة والحذر ثم الحذر من مذهب ردي ينسبه أتباعه إلىٰ طريقة السلف ألا وهو منهج المفوضة الذين يزعمون أن السلف كانوا يثبتون الألفاظ مع عدم معرفة المعاني أو مع نفي المعاني الحقه بل مذهب السلف إثبات اللفظ والمعنىٰ وتفويض معرفة علم الكيف إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ لأنه لا يعرف كيف هو إلا هو .

(٢) يشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ حديث أنس بن مالك عند الحديث الذي أخرجه أحمد (٣/ ١٢٥) من طريق حماد بن سلمة قال ثنا ثابت البناني عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] قَالَ : قَالَ : هَكَذَا، يَعْنِي أَنَّهُ أَخْرَجَ طَرَفَ الْخِنْصَرِ. قَالَ أَبِي: أَرَانَاهُ مُعَاذٌ قَالَ: فَقَالَ لَهُ حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ : مَا تُرِيدُ إِلَىٰ هَذَا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ؟ قَالَ : فَضَرَبَ صَدْرَهُ ضَرْبَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ : مَنْ أَنْتَ يَا حُمَيْدُ ؟ وَمَا أَنْتَ يَا حُمَيْدُ، يُحَدِّثُنِي بِهِ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَقُولُ أَنْتَ مَا تُرِيدُ إِلَيْهِ.

(٣) هذه القاعدة موجودة في "التدمرية" (ص٤٣): قال شيخ الإسلام في "التدمرية" (ص٤٣): (فالقول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله تعالىٰ ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، =

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أخبرنا أن في الجنة لحمًا ولبنًا وعسلًا وماء وسندسًا وحريرًا وذهبًا، وقد قال ابن عباس: ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء(١).

فإذا كانت المخلوقات الغائبة ليست مثل هذه المخلوقات المشاهدة مع اتفاقها في الأسماء، فالخالق أعظم عُلوًا ومباينة لخلقه عن مباينة المخلُوقِ للمخلوقِ وإن اتفقت الأسماء(٢).

والأصل في هذا الباب: أن كل ما ثبت في كتاب الله أو سنة رسوله، وجب التصديق به مثل علوِّ الربِّ، (واستوائه على عرشه)(٣) ونحو ذلك، فما جاء في الكتاب والسنة

= ولا في أفعاله، فإذا كانت له ذات حقيقية لا تماثل الذوات) اهـ. فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل صفات سائر الذوات، وهذه القاعدة رد علىٰ المعطلة والممثلة من جهة أن المعطل يثبت ذات تليق بجلاله ويزعم أن في الصفات تمثيل، فحين يقول له ذات ليست كالذوات قل له وله صفات ليست كالصفات.

(١) أخرجه ابن جرير (١/ ١٧١) في تفسير قول الله تعالىٰ: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥] من ثلاث طرق عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس به.

(٢) لأن تباين الذوات يلزم منه تباين الصفات ومن المعلوم أن الاتفاق في المسمىٰ لايلزم منه المماثلة، قال شيخ الإسلام التدمرية (٤٠-٤١): وإذا كان من المعلوم بالضرورة أن في الوجود ما هو قديم واجب بنفسه وما هو محدث ممكن يقبل الوجود والعدم: فمعلوم: أن هذا موجود وهذا موجود ولا يلزم من اتفاقهما في مسمىٰ الوجود أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا بل وجود هذا يخصه ووجود هذا يخصه واتفاقهما في اسم عام: لا يقتضي تماثلهما في مسمىٰ ذلك الاسم عند الإضافة والتخصيص والتقييد ولا في غيره. فلا يقول عاقل إذا قيل أن العرش شيء موجود وأن البعوض شيء موجود : إن هذا مثل هذا ؛ لاتفاقهما في مسمىٰ الشيء والوجود لأنه ليس في الخارج شيء موجود غيرهما يشتركان فيه بل الذهن يأخذ معنىٰ مشتركا كليا هو مسمىٰ الاسم المطلق وإذا قيل هذا موجود وهذا موجود : فوجود كل منهما يخصه لا يشركه فيه غيره؛ مع أن الاسم حقيقة في كل منهما. اهـ

(٣) الاستواء جاء في القرآن معدىٰ بنفسه وبغيره: أما المعدىٰ بنفسه كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤] وهذا المراد به الكمال، ومنهم قولهم: استوىٰ الزرع، وجاء معدىٰ بغيره =

وجب على كل مؤمن الإيمان به، وإن لم يفهم معناه(١)، وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها. وأما ما تنازع فيه المتأخرون من الألفاظ المبتدعة في النفي والإثبات مثل قول

= تارة بإلىٰ وتارة بعلىٰ وتارة بالواو، فالمعدىٰ بالواو المراد به المعية كقولهم: استوىٰ الماء والخشبة. والمعدىٰ بعلىٰ تدل علىٰ العلو والارتفاع والصعود والاستقرار، وقد نقل ابن القيم الإجماع علىٰ هذا المعنىٰ كما في "مختصر الصواعق". وكذا المعدىٰ بإلىٰ وفسرها بعض أهل العلم بالقصد ومع ذلك قصده لخلق السماوات والأرض لا يتعارض مع علوه قصد إلىٰ خلق السموات والأرض وهو في العلو.

(١) علينا أن نتعامل مع أدلة الصفات وغيرها بما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

قال الحافظ في "الفتح" (١٣/ ٤٠٧): وأسند البيهقي بسند صحيح عن أحمد بن أبي الحواري، عن سفيان بن عيينة قال: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسُّكوت عنه اهـ. والمراد بالسكوت عنه عدم التعرض له بالتأويل الباطل والبحث عن الكيف .

قال الشيخ العثيمين في "تقريب التدمرية" (ص٤٦): لكن ليعلم أنه ليس في كلام الله ورسوله شيء لا يعرف معناه جميع الأمة، بل لا بد أن يكون معروفًا لجميع الأمة أو بعضها؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ولأنه لو كان فيه ما لا يعلم معناه أحد لكان بعض الشريعة مجهولًا للأمة، ولكن المعرفة والخفاء أمران نسبيان، فقد يكون معروفًا لشخص ما كان خفيًا علىٰ غيره، إما لنقص في علمه، أو قصور في فهمه أو تقصير في طلبه، أو سوء في قصده اهـ. هذا وليُعلم أن آيات الصفات من المحكم وليست من المتشابه، وقد بينت ذلك في رسالتي المسماة «**ضوابط تحديث العوام بآيات وأحاديث الصفات**». ولا يفهم من كلام المؤلف أنه أراد مذهب التفويض الذي هو من شر أقوال أهل البدع من جهل شيئًا في هذا الباب وغيره يسأل علىٰ ما بينت قريبًا وإنما المراد أو إنما علىٰ من لم يعلم أن يسأل ويتعلم يقول الله : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦] ويقول ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا =

القائل: هو في جهةٍ، أو ليس في جهةٍ، وهو متحيز أو ليس بمتحيزٍ، ونحو ذلك من الألفاظ التي تنازع فيها الناس، وليس فيها نص لا عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أئمة المسلمين، فإن هؤلاء لم يقل أحد منهم إن الله في جهةٍ، ولا قال: ليس هو في جهةٍ، ولا قال هو متحيز ولا ليس بمتحيز، بل ولا قال: هو جسم أو جوهرٌ، ولا قال: ليس بجسم ولا جوهر، فليس على أحدٍ، بل ولا له أن يوافق أحدًا في إثبات لفظٍ من هذه الألفاظ، أو على نفيه حتى يُعرف مُراده، فإن أراد حقًا قُبل، وإن أراد باطلًا رُدَّ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يُقبَلْ مطلقًا، ولم يرد جميع معناه، بل يُوقِّفِ اللفظ ويفسر المعنى، كما تنازع الناس في الجهة والتحيُّز وغيرهما، فلفظ الجهة قد يُراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقًا كما إذا أُريد بالجهة نفس العرش، أو نفس السماوات، وقد يراد بها ما ليس بموجود غير الله تعالى، كما إذا أُريد بالجهة ما فوق العالم، فمن أراد إثبات الجهة الوجودية وجعل الله منحصرًا في المخلوقات فهذا باطل، ومن أراد إثبات الجهة العدمية وأراد أن الله وحده فوق المخلوقات بائن عنها فهذا حق، وليس في ذلك أن شيئًا من المخلوقات حصره، ولا أحاط به، ولا علا عليه، بل هو العالي عليها المحيط بها.

وكذلك لفظ التحيُّز إن أراد أن الله تَحُوْزُهُ المخلوقات، فالله أعظم وأكبر، بل قد وسع كرسيه السماوات والأرض، وإن أراد به أنه منحاز عن المخلوقات؛ أي: مباين لها منفصلًا عنها ليس حالًا فيها، فهو سبحانه -كما قال أئمة أهل السنة-: (فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه)[1].

= تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧] وأما ما يثبت به المفوضة من القول المنسوب إلىٰ الإمام أحمد (لا كيف ولامعنىٰ) فعلىٰ ثبوته يكون مراده لا كيف معلوم لنا ولامعنىٰ كما يقول المعطلة ومع ذلك في صحة ذلك إلىٰ الإمام أحمد نظر فإنه من طريق حنبل بن إسحاق وله عنه مناكير .

(١) هذه القاعدة مهمة جدًا لتحديد الألفاظ المستخدمة في هذا الباب باب الأسماء والصفات؛ لأن =

الفصل الثاني: في مسألة الكلام [1]

= الكلام في هذا الباب كما هو معلوم توقيفي ويكون التعامل مع الألفاظ في هذا الباب علىٰ التالي :

ما أثبته القرآن والسنة أثبتناه.

ما نفاه القرآن والسنة نفيناه.

ما لم يثبته الكتاب والسنة ومالم ينفه نتوقف في اللفظ فلا يثبت ولا ينفىٰ؛ لأن النفي والإثبات في هذا الباب متوقف علىٰ الدليل و نستفصل في المعنىٰ إن كان حقًا أثبت المعنىٰ مع استخدام الألفاظ الشرعية ولا حاجة لمثل هذه الألفاظ وإن كان باطلا رُد وينزه الله عَزَّوَجَلَّ عنه ولهذه القاعدة راجع "التدمرية" (ص٦٥-٦٨) لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذه اللفظة بائن من خلقه توارد عليها السلف متقدمهم ومتأخرهم ردًا علىٰ الحلولية والاتحادية الذين يزعمون أن الله عَزَّوَجَلَّ حالًا أو متحدًا في شيء من مخلوقاته، بل هو سبحانه منفصل عنهم، ومن زعم أن الله يحل في الحوادث أو تحل فيه فقد كفر علىٰ ما تقدم الكلام في باب العلو.

(١) صفة الكلام لله عَزَّوَجَلَّ ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف ونذكر بعض الأدلة التي تثبت بها صفة الكلام لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

أولًا: من القرآن:

قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] . وقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقوله: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: ١٣ - ١٤].

وقوله: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] .

وقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

وقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] .

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]. =

= ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٥].

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وغيرها في القرآن كثير جدًا .

ثانيًا: من السنة:

والأحاديث في السنة بلغت حد التواتر في إثبات صفة الكلام لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نذكر منها قطفًا تكون نورًا للمستبصر وحجة علىٰ الزائغ المتكبر.

ومنها : ما أخرجه البخاري رقم (٣٣٤٨) ومسلم رقم (٢٦٥٢): من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة؟ قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده، أتلومني على أمرٍ قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى»**.

وما أخرجه أحمد وغيره (٣/ ٣٩٠): من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعرض نفسه علىٰ الناس بالموقف فيقول: **«هل من رجلٍ يحملني إلى قومه؟ فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عَزَّوَجَلَّ»**، الحديث صحيح وهو في "الصحيح المسند".

ومنها :حديث أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند ابن حبان وغيرن (٢٠٨٥): أن رجلًا قال: يا رسول الله أنبيًا كان آدم؟ قال: **«نعم مكلمًا»** الحديث صححه شيخنا الوادعي في "صحيحه المسند".

ومنها: حديث أبي سعيد عند الشيخين البخاري رقم (٣١٧٠) ومسلم رقم (٢٢٢): أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«يقول الله يوم القيامة يا آدم أخرج بعث النار، قال: يا رب وما بعث النار؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعين فعند ذاك يشيب الصغير وتضع كل ذات حملٍ حملها»** الحديث.

ومنها : حديث أنس عندهما البخاري رقم (٣١٦٢) ومسلم رقم (١٩٣): أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في حديث الشفاعة الطويل: **«فيقول –أي الله– يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع...»** الحديث. وحديث عدي بن حاتم ما منكم من أحد إلا يكلمه ربه متفق عليه

ثالثًا: إجماع السلف رحمهم الله علىٰ إثبات صفة الكلام لله، وأن كلام الله غير مخلوق:

النصوص عن السلف الصالح من الصحابة وغيرهم علىٰ إثبات كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كثيرة جدًا نذكر منها ما تيسر:

ومنها : ما أخرجه البخاري (٢٥١٨) ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: "والله ما كنت أظن أن الله ينزل براءتي وحيًا يتلىٰ ولشأني في نفسي أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمرٍ يتلىٰ..." =

= الحديث.

وأخرج الدارمي في رده علىٰ الجهمية عن عمرو بن دينار (٨٨) قال: أدركت أصحاب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون: الله خالق وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود.

قال إسحاق بن راهويه بعد ذكر قول عمرو بن دينار كما عند البيهقي في الأسماء والصفات: وقد أدرك عمرو بن دينار أجلة أصحاب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من البدريين والمهاجرين والأنصار مثل: جابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وأجلة التابعين وعلىٰ هذا مضىٰ صدر هذه الأمة.

وأخرج الدارمي أيضًا بسند صحيح (ص٨٨) عن جعفر بن محمد: أنه سئل عن القرآن خالق أو مخلوق؟ قال: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله.

وأخرج أيضًا بسنده عن عبد الله بن المبارك، عند أن سئل عن القرآن: فقال: هو كلام الله غير مخلوق. وبهذا القول قال بقية بن الوليد والقاسم الجزري، والمعافى بن عمران وغيرهم كثير، وهو قول أهل السنة قاطبة من السلف والخلف ولا يخالف هذا إلا جهمي خبيث.

قال البخاري في "خلق أفعال العباد" (ص٣٧): القرآن كلام الله غير مخلوق.

قال الصابوني في "رسالته في السنة": ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وكتابه وخطابه ووحيه وتنزيله، غير مخلوق، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم.

وقد قال اللالكائي: وهو أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (١/ ٣١٢) رقم (٣٩٣) بعد أن ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ العلماء الذين قالوا: بأن القرآن كلام الله غير مخلوق من البلخين والنيسابوريين وأهل خراسان وأهل الحجاز واليمن والشام ومصر وغيرها من البلدان، قال: قالوا: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفسًا أو أكثر من التابعين والأئمة المرضين سوىٰ الصحابة الخيرين علىٰ اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام.

وقد أفتىٰ كثير من العلماء بقتل من قال: إن القرآن مخلوق، نقل ذلك أبو القاسم هبة الله اللالكائي عن جماعة منهم: مالك بن أنس إمام دار الهجرة، ومفتيها، قال: من قال القرآن مخلوق يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه.

وأفتىٰ به أيضًا سفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن مهدي، ووكيع بن الجراح وغيرهم كثير.

وقد أفتىٰ أيضًا غير واحد من أهل العلم: أن امرأته تحرم عليه لأنه كافر وامرأته مسلمة كعبد الله بن =

= المبارك وأبو الوليد الطوسي.

وقد أفتىٰ أيضًا جمع منهم أحمد بن حنبل وسفيان بن عيينة وحماد بن زيد والثوري ويزيد بن هارون، وأبو معاوية الضرير والربيع بن سليمان المرادي وغيرهم أنهم لا يورثون ولا يصلىٰ خلفهم ولا تعاد مرضاهم ولا تشهد جنائزهم وإن موالاة الإسلام انقطعت بينهم وبين المسلمين اهـ.

فانتبهوا أيها المسلمين من هذا القول الخطير الذي تبناه في هذا العصر الرافضة والمعتزلة من أمثال حزب التحرير وغيرهم!

افتراق الناس في مسألة الكلام:

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في "شرح الطحاوية" (١٧٩): وقد افترق الناس في مسألة الكلام **إلىٰ تسعة أقوال:**

الأول: أن كلام الله هو ما يفيض علىٰ النفوس من معاني إما من العقل الفعال عن بعضهم أو من غيره، وهذا قول الصابئة والفلاسفة.

الثاني: أنه مخلوق خلقه الله منفصلًا عنه، وهذا قول المعتزلة.

الثالث: أنه معنىٰ واحدا قائمًا بذات الله هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنًا وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وهذا قول ابن كلاب والأشعري وغيره.

الرابع: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث.

الخامس: أنه حروف وأصوات؛ لكن تكلم الله بها بعد إن لم يكن متكلمًا، وهذا قول الكرامية وغيرهم.

السادس: أن كلامه يرجع إلىٰ ما يُحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته، وهذا يقوله صاحب المعتبر ويميل إليه الرازي في كتابه المطالب العالية.

السابع: أن كلامه يتضمن معنىٰ قائمًا بذاته هو ما خلقه في غيره، وهو قول الماتريدي.

الثامن: أنه مشترك بين المعنىٰ القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات، وهذا قول أبي المعالي وأتباعه.

التاسع: أنه تعالىٰ لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتىٰ شاء وكيف شاء وهو يتكلم بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا، وهذا قول أئمة الحديث والسلف اهـ.

العاشر: زاد ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "مختصر الصواعق" (٢/ ٢٨٦) مذهب أهل الاتحاد القائلون =

= بوحدة الوجود أن كل كلام في الوجود هو كلام الله نظمه ونثره، وحقه باطله سحره وكفره، والسب والشتم والهجر والفحش كما قال قائلهم:

وكـــل كـــلامٍ في الوجـــود كلامـــه ❁❁ ســـــواء علـــينا نثـــره ونظـامـــه

وهذا مبنيٌ علىٰ مذهبهم الذي أصلوه، أن الله تعالىٰ وتنزه عن قولهم عين الوجود اهـ.

الرد علىٰ الفلاسفة والصائبة في تعريف الكلام:

الناظر في تعريفهم للكلام يرىٰ أنهم جعلوا كلام الله لا وجود له خارج نفس الرسول، وإنما هو ما يفيض علىٰ النفوس من المعاني أو هو ما يفيض من العقل الفعال أو غيره.

وربما قالوا: العقل الفعال هو جبريل وربما قالوا غيره.

ويقولون: كلام الله محدث في نفس النبي والكلام الذي سمعه موسىٰ كان موجودًا في نفسه لم يسمع موسىٰ كلامًا خارجًا عن نفسه.

وقد كفر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أصحاب هذا القول بقوله: "وهذا القول أبعد عن الإسلام ممن يقول القرآن مخلوق" "مجموع الفتاوىٰ" (١٢/ ١٦٣).

وقول (١٢/ ٤٢) وقد تنازعوا في كلام الله نزاعًا كثيرًا، وأبعدهم عن الإسلام قول من يقول من المتفلسفة والصائبة –ثم ذكر بعض الأقوال السابقة–، وقول هؤلاء في الحقيقة:

تعطيل صفة الكلام لله رب العالمين علىٰ الحقيقة.

تكذيب المعلوم من دين الإسلام أن القرآن منزل علىٰ الحقيقة.

تكذيب المعلوم من دين الإسلام أن الذي كان ينزل القرآن هو جبريل عليه السلام، وليس هو العقل الفعال.

عدهم ألفاظ القرآن وحروفه من إنشاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن العقل الفعال فاض عليه بالمعاني والألفاظ.

موافقتهم الجهمية في كونه مخلوقًا.

قاله صاحب "العقيدة السلفية في كلام رب البرية" ص٢٩٥-٢٩٦).

وأما الرد علىٰ المعتزلة والجهمية القائلين بخلق القرآن: أن المعتزلة والجهمية يرون أن القرآن مخلوق خلقه الله منفصلًا عنه.

وقد استدل المعتزلة علىٰ هذا القول ببعض الشبه التي سرعان ما تتهاوىٰ أمام البراهين الدامغة من الكتاب والسنة والحجج الساطعة من أئمة السنة.

الشبهة الأولىٰ: القرآن شيء، وقد قال الله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢] ولفظ كل في يفيد =

= العموم، فالقرآن داخل في هذا العموم.

قال ابن أبي العز (ص١٨٣): وأما استدلالهم بقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ والقرآن شيء فيكون داخلًا في عموم (كل) فيكون مخلوقًا، فمن أعجب العجب وذلك أن أفعال العباد عندهم غير مخلوقة لله تعالىٰ، وإنما يخلقها العباد جميعًا لا يخلقها الله فأخرجوها من عموم (كل) وأدخلوا كلام الله في عمومها مع أنه صفة من صفاته به تكون الأشياء المخلوقة والأمر، فلو كان الأمر مخلوقًا للزم أن يكون مخلوقًا بأمر آخر والآخر بآخر... إلىٰ أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعموم كل في كل موضع بحسبه، ويعرف ذلك بالقرائن، ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡ﴾ [الأحقاف: ٢٥] ومساكنهم شيء ولم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح، وذلك أن المراد بالتدمير كل شيء يقبل التدمير بالريح عادة وما يستحق التدمير، وكذلك قوله سبحانه حكاية عن بلقيس:﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النمل: ٢٣] المراد من كل شيء يحتاج إليه الملوك، وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام.

والمراد بقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢] أي كل شيء مخلوق وكل موجود سوىٰ الله، فهو مخلوق فدخل في هذا العموم أفعال العباد حتمًا، ولم يدخل في العموم الخالق تعالىٰ وصفاته ليست غيره اهـ. والله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد وصف نفسه بأنه نفس قال تعالىٰ عن عيسىٰ: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقال:﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥] فهل يدخل الجهمي نفس الله تعالىٰ في هذا العموم؟

الشبهة الثانية: قالوا القرآن مجعول، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ [الزخرف: ٣] والجعل الخلق.

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ (ص١٨٦): وأما استدلالهم بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾، فما أفسده من استدلال، فإن (جعل): إذا كان بمعنىٰ خلق يتعدىٰ إلىٰ مفعول واحد كقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام: ١]، وقوله: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ﴾ [الأنبياء: ٣٠] وقوله: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ﴾ [الأنبياء: ٣١] وقوله: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ﴾ [الأنبياء: ٣٢] وإذا تعدىٰ إلىٰ مفعولين لم يكن بمعنىٰ خلق.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ﴾ [النحل: ٩١] وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٢٤] وقوله:﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١] وغيرها =

= إلىٰ قوله: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ﴾ [الزخرف: ١٩]. اهـ

فلو كان جعل بمعنىٰ خلق لكان من أفسد الفساد كيف يجوز أن يقال: "وقد خلقتم الله"، فنعوذ بالله من الضلال ومن اتباع الهوىٰ.

الشبهة الثالثة: قالوا القرآن محدث والمحدث، مخلوق قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ [الشعراء: ٥].

والجواب: عن هذه الشبهة: اعلم أن محدث في اللغة هو كون الشيء بعد أن لم يكن، قال أبو عبيد القاسم بن سلام، كما في خلق أفعال العباد للبخاري رَحِمَهُ اللَّهُ (ص٣٧)، "محدث" حدث عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه لما عَلَّمه اللهُ ما لم يكن يُعْلَم.

وقال ابن قتيبة في "الاختلاف في اللفظ": المحدث ليس هو في مَوْضِع بمعنىٰ مخلوق، فإن أنكروا ذلك فليقولوا في قوله تعالىٰ: ﴿ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ [الطلاق: ١] أنه يخلق كذلك قوله: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [طه: ١١٣] أي: يحدث لهم القرآن ذكرًا، والمعنىٰ يجدد عندهم ما لم يكن، وكذلك قوله: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ ﴾ أي: ذكر حدث عندهم لم يكن قبل ذلك. اهـ

وقال شيخ الإسلام (١٢/ ٥٢٢): فإن احتج بعضهم بهذه الآية ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ قال: هذه الآية حجة عليك فإنه لما قال: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ قال: عُلِمَ أن الذكر منه محدث، ومنه ما ليس بمحدث.

ويُعلم: أن المحدث في الآية ليس هو المخلوق الذي يقوله الجهمي، ولكنه الذي أنزل جديدًا، فإن الله كان ينزل القرآن شيئًا بعد شيء، فالمنزل أولًا هو قديم بالنسبة إلىٰ المنزل آخر". اهـ

الشبهة الرابعة: قالوا جعل الله أمره مقدورًا والمقدور المخلوق، وأمره كلامه، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨].

قال صاحب "العقيدة السلفية" (ص٣١٠): ولفظ الأمر إذا أضيف إلىٰ الله تعالىٰ يأتي علىٰ تفسيرين:

الأول: يراد به المصدر كقوله تعالىٰ: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤] وهو غير مخلوق، وهذا يجمع علىٰ "أوامر".

والثاني: يراد به المفعول الذي هو المأمور المقدور كقوله تعالىٰ: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ =

= [الأحزاب: ٣٨] ، فالأمر هنا هو المأمور، وهذا يجمع على "أمور"، وهو مخلوق، وقد قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في احتجاجه على الجهمية، قال الله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ففرق بين الخلق والأمر.

وقال أيضًا: وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ فأخبر بالخلق، **ثم قال**: والأمر، وأخبر أن الأمر غير مخلوق، وبهذا الجواب أجاب سفيان بن عيينة شيخ الإمام أحمد رحمهما الله، فقال: ما يقول هذا الدويبة –يعني المريسي بشر–؟ قالوا: يا أبا محمد يزعم أن القرآن مخلوق، فقال: كذب، قال الله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ فالخلق خلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والأمر القرآن". اهـ

وقال شيخ الإسلام (٨/ ٤١٢): ففي قوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ المراد به المأمور به المقدور، وهذا مخلوق، وأما في قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: ٥] فأمره كلامه إذا لم ينزل إلينا الأفعال التي أمرنا بها، وإنما أنزل القرآن، وهذا كقوله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] فهذا الأمر هو كلامه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل ذلك (٨/ ٤١٢): ولفظ الأمر يراد به المصدر والمفعول، فالمفعول مخلوق مثل: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١] وقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ فهنا المراد به المأمور به، ليس المراد به أمره الذي هو كلامه، ثم بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن مصدر الأمر هو كلامه، وهو غير مخلوق. اهـ

ومما استدل بها هؤلاء الضُّلال على أن القرآن مخلوق قول الله تعالى: ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القصص: ٣٠] قالوا: إن الكلام خلقه الله في الشجرة، فسمعه موسى منها.

وهذا القول بيّن فساده ابن أبي العز في "شرح الطحاوية" فقال: استدلوا بالآية على أن الكلام خلقه الله في الشجرة، فسمعه موسى منها وعموا عما قبل هذه الكلمة وما بعدها، فإن الله تعالى قال: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ والنداء هو الكلام من بعد، فسمع موسى عليه السلام النداء من حافة الوادي، ثم قال: ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ كما تقول: سمعت كلام زيد من البيت يكون من البيت لابتداء الغاية، لا أن البيت هو المتكلم، ولو كان الكلام مخلوقًا في الشجرة لكانت الشجرة هي القائلة: "يا موسى إني أنا الله رب العالمين"، وهو قال: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ غير ربّ العالمين، ولو كان هذا الكلام بدأ من غير الله لكان =

= قول فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] صدقًا؛ إذ كلا الكلامين عندهم مخلوق، قد قاله غير الله، وقد فرقوا بين الكلامين على أصلهم الفاسد أن ذلك كلام خلقه الله في الشجرة، وهذا خلقه فرعون فحرفوا وبدلوا واعتقدوا خالقًا غير الله. اهـ

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: باب ما أنكرت الجهمية من أن الله كلم موسى، فقلنا لهم: لم أنكرتم؟ قالوا: إن الله لم يتكلم ولا يتكلم، إنما كون شيئًا فعبر عن الله خلق صوتًا فأسمعه، فقلنا لهم: هل يجوز أن يكون لمكوَّن غير الله أن يقول: ﴿يَا مُوسَى ۝١١ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه: ١١ – ١٢] أو يقول: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]، فمن زعم أن ذلك غير الله فقد ادعى الربوبية، ولو كان كما زعم الجهمية أن الله كون شيئًا كان يقول ذلك المكوَّن يا موسى إن الله رب العالمين، ولا يجوز أن يقول: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] اهـ.

الشبهة الخامسة: قالوا قد قال الله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩] وهذا يدل على أن الرسول أحدثه إما جبريل أو محمد.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جواب هذه الشبهة كما في "مجموع الفتاوى" (١٢/ ٥٢١): "قال: وإن احتج بقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ – ٢٠] قيل: له فقد قال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤٠ – ٤٢]، فالرسول في هذه الآية محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والرسول في الأخرى جبريل، فلو أريد به أن الرسول أحدث عبارته لتناقض الخبران، فعلم أنه أضافه إليه إضافة تبليغ لا إضافة إحداث، ولهذا قال: لقول رسول، ولم يقل ملك ولا نبي ولا شك أن الرسول بلغه كما قال: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، فكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرض نفسه على الناس في الموسم، ويقول: **«ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»**. اهـ

وقال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى (ص١٨٧): ذكر الرسول معرِّف أنه مبلِّغ عن مرسله؛ لأنه لم يقل إنه قول ملك أو قول نبي، فعلم أنه بلغه عمن أرسله به، لا أنه إنشاء من جهة نفسه، وأيضًا الرسول في إحدى الآيتين جبريل وفي الأخرى محمد، فإضافته إلى كل منهما تبين أن الإضافة للتبليغ؛ إذ لو أحدثه أحدهما امتنع أن يحدثه الآخر.

وأيضًا فقوله: رسول أمين دليل على أنه لا يزيد في الكلام الذي أرسله بتبليغه، ولا ينقص منه، وأيضًا فإن الله قد كفر من جعله قول البشر، ومحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشر فمن جعله قول محمد =

= بمعنىٰ أنه أنشأه فقد كفر، ولا فرق بين أن يقول هو قول بشر أو جني أو ملك.

والكلام كلام من قاله مبتدأ لا من قاله مبلغًا، ومن سمع قائلًا يقول: قفا نبك من ذكرىٰ حبيب ومنزل، قال: هذا شعر امرئ القيس، ومن سمعه يقول: «**إنما الأعمال بالنيات**» قال هذا كلام الرسول، وإن سمعه يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٣] قال: هذا كلام الله، ولهذا لو سمع أحد من أحدٍ نظمًا أو نثرًا يقول له: هذا كلام من؟ هذا كلامك أم كلام غيرك؟

الشبهة السادسة: قالوا: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سمىٰ عيسىٰ عليه السلام كلمته، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] وقال: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥] وعيسىٰ مخلوق، فالكلمة مخلوقة.

ومعنىٰ الآية: أن عيسىٰ عليه السلام مخلوق خلقه الله بأمره حين قال له: ﴿كُن﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧] و ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

والكلمة ﴿كُن﴾ لا عين عيسىٰ، والمكون هو عيسىٰ عليه السلام، وبهذا أجاب غير واحد من الأئمة اهـ أفاده صاحب كتاب "العقيدة السلفية".

وقال السلمان في "الكواشف الجلية عن معاني الواسطية" (ص٣٨٠-٣٨١): وأما قوله: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ **فالمعنىٰ**: أنه خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلىٰ مريم، فنفخ فيها من الروح، فعيسىٰ ناشئ عند الكلمة وليس هو نفس الكلمة، وقوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ يعني أنه كائن منه تعالىٰ، أي موجده وخالقه فهو روح من الأرواح التي خلقها الله كما قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] أي مخلوقة بأمره. اهـ

ومن شبه هؤلاء النوكا أنهم يقولون يلزم من إثبات كلام الله التشبيه والتجسيم، فيقال لهم: إذا قلنا إنه تعالىٰ يتلكم كما يليق بجلاله انتفت شبهتهم، ألا تر أنه قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ [يس: ٦٥] فنحن نؤمن أنها تتكلم ولا نعلم كيف تتكلم، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: ٢١] =

= وكذلك تسبيح الحصىٰ والطعام وسلام الحجر علىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كل ذلك بلا فم يخرج منه الصوت الصاعد من الرئة المعتمد علىٰ مقاطع الحروف، أفاده ابن أبي العز رَحِمَهُٱللَّهُ (ص١٨١).

ومن قولهم أيضًا قالوا: القرآن ترد عليه سمات الحدوث والخلق من وجوه عدة:

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾ [النحل: ١٠١] فأخبر عن وقوع النسخ فيه.

هو حروف متعاقبة يسبق بعضها بعضًا.

لا يكون إلا بمشيئة واختيار، فيلزم منه أن تسبقه الحوادث ويتأخر عنها.

له ابتداء وانتهاء وأول وآخر.

هو متبعض متجزئ.

منزل والنزول لا يكون إلا بحركة وانتقال وتحول.

مكتوب في اللوح والمصاحف وما حد وحصر فهو مخلوق.

وهذه الصفات وما يشبهها صفات للمخلوق المُحْدَث.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ في "درء تعارض العقل والنقل" (٢/ ٩٩): هذه المعاني جميعًا مبنية علىٰ أصلهم الذي ابتدعوه لإثبات خلق العالم، وقدم الصانع وهو الاستدلال علىٰ حدوث العالم بطريقة الحركة، فقالوا: لا يمكن معرفة الصانع إلا بإثبات حدوث العالم، ولا يمكن إثبات حدوث العالم إلا بإثبات حدوث الأجسام والاستدلال علىٰ حدوث الأجسام إنما هو بحدوث الأعراض القائمة بها الحركة والسكون، فهذا الأصل المبتدع هو الذي جرهم إلىٰ القول بخلق القرآن ونفي الصفات والأفعال لله تعالىٰ. اهـ

ولو أنهم استسلموا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وامتثلوا قوله وصاروا علىٰ هدي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وطريقة السلف لما وقعوا في هذه الأصول الفاسدة، فنسأل الله السلامة.

ومن شبه المعتزلة أيضًا، قولهم: إن إضافة الكلام إلىٰ الله إضافة تشريف، كبيت الله وناقة الله.

و الإضافة إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، تنقسم إلىٰ قسمين: إضافة أعيان، وإضافة صفات، و الأعيان التي تقوم بنفسها إضافتها إلىٰ الله تكون إضافة تشريف أو خلق وملك وغير ذلك.

وإن كانت معاني لا تقوم بنفسها، فإضافتها إلىٰ الله تعالىٰ إضافة صفة إلىٰ موصوف.

فمن هنا يتبين أن إضافة الكلام إلىٰ الله تعالىٰ هو من النوع الثاني، أي: إضافة الصفات ككلام الله، وعلم الله، وقدره الله وغيرها.

تقدم الرد علىٰ الجهمية والمعتزلة وبيان فساد اعتقادهم في مسألة الكلام، وأنه مخالف لما عليه =

فنقول: القرآن كلام الله نزله على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معجزٌ بنفسه، متعبدٌ بتلاوته.

والكلام حقيقة: الأصوات والحروف، وإن سُمي به المعنى النفسي، وهو نسبة بين مفردين قائمةٌ بالمتكلم، فمجازٌ(١) .

والكتابة كلام حقيقة، فلم يزل الله تعالى متكلمًا كيف شاء وإذا شاء بلا كيف(٢)، يأمر بما شاء ويحكم، هذا مذهب الإمام أحمد وأصحابه، وهو إمام أهل السنة بلا نِزاع، ومذهب الإمام محمد بن إسماعيل البخاري إمام الحديث بلا دفاعٍ، وجمهور العلماء. قاله ابن مُفلح في «أصوله» وابن قاضي الجَبَلِ.

فقولنا: معجزٌ بنفسه؛ أي: مرادٌ به الإعجاز، كما أنه مقصود به بيان الأحكام والمواعظ، وقص أخبارٍ من قُصَّ في القرآن من الأمم. دليل التحدي قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] أي: فأتوا بمثله إن ادعيتم القدرة، فلما عجزوا تحداهم بعشر سورٍ، ثم بسورةٍ، ثم بحديث مثله(٣).

= أئمة الدين من الصحابة فما بعدهم إلىٰ يومنا هذا، وليس لهم من دليل إلا الشبهات وسرعان ما تتهاوىٰ أمام قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقول رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع فهم السلف الصالح بعيدًا عن علم الكلام والجدل.

ولتعلم: أن المعتزلة قد فرخوا وباضوا، ومن هذه الأفراخ الأشاعرة ومن وافقهم من ماتريدية وسالمية وكلابية، وإن اختلفوا في بعض الأمور والتعريفات؛ لكنهم لم يصفوا معتقدهم من شوائب البدع والضلال وقد تكفل بالرد عليهم المصنف نفسه كما سترىٰ إن شاء الله تعالىٰ .

(١) بداية الرد علىٰ الأشاعرة ومن قال بقولهم .

(٢) أي: بلا كيف معلوم لنا، وإلا ما من صفة من الصفات إلا ولها كيفية وأهل السنة يفوضون علم الكيف ويثبتون المعنىٰ بخلاف أهل البدع الذين يفوضون المعنىٰ فتنبه.

(٣) قال تعالىٰ متحديًا أن يأتوا بسورة : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ =

وقولنا: متعبدٌ بتلاوته ليخرج الآيات المنسوخة اللفظ، سواء بقي حكمها أم لا؟ لأنها صارت بعد النسخ غير قرآن لسقوط التعبد بتلاوتها[1].

وقولنا: والكتابة كلام حقيقة؛ لقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما بين دفتي المصحف كلام الله[2]؛ ولأن من كتَبَ صريحَ الطلاقِ يقع عليه الطلاق بذلك، ولو لم ينوهِ على الصحيح.

وقولنا: لم يزل الله تعالى متكلمًا كيف شاء، إذا شاء بلا كيفٍ، يأمر بما شاء ويحكم؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يتكلم بمشيئته وقدرته، بمعنى: أنه لم يزل متكلمًا إذا شاء، فإن الكلام صفة كمالٍ، ومن يتكلم أكملُ ممن لم يتكلم، ومن يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يكون كذلك.

وقولنا: والكلام حقيقة الأصواتِ والحروف ...إلخ.

قال الإمام الطوفي من الحنابلة: إنما كان حقيقة في العبارة مجازًا في مدلولها لوجهين:

أحدهما: أن المتبادر إلى فهم أهل اللغة من إطلاق الكلام إنما هو العبارة والمتبادرة دليل الحقيقة.

= بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود: ١٣].

(١) في صحيح الإمام مسلم (١٠٥٠): من حديث أبي موسىٰ الأشعري قال: إنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أني قد حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغىٰ واديًا ثالثًا، وعلىٰ يملئ جوف ابن آدم إلا التراب، وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدىٰ المسبحات فأنسيتها غير أني حفظت منها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢] فتكتب شهادة في أعناقكم، فتسألون عنها يوم القيامة اهـ.

وعن زر قال: قال لي أُبي بن كعب عند الطيالسي رقم (٥٤٠) قلت: كذا وكذا، آية قال: إنا كنا نضاهي بها سورة البقرة وإن كنا لنقرأ فيها: "والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالًا من الله ورسوله" فرفع فيما رفع.

(٢) لم أقف علىٰ إسناد له، وقال الشيخ الألباني (٢٥٥٩): لم أقف علىٰ إسناده.

الثاني: أن الكلام مشتق من الْكَلْمِ لتأثيره في نفس السامع، والمؤثر في نفس السامع إنما هو العبارات لا المعاني النفسية.

نعم هي مؤثرة للفائدة بالقوة، والعبارة مؤثرة بالفعل، فكان ما هو مؤثر بالفعل أولى بأن يكون حقيقة، وما هو مؤثرة بالقوة مجازًا .

ومما يبطل القول بأن القرآن هو المعنى النفسي وجوه كثيرة:

أحدها: أن الله سبحانه تحدى الخلق بالإتيان بمثله، والتحدي إنما وقع بالإتيان بمثل هذا الكتاب بغير إشكال؛ لأن ما في النفس لا يُدْرَى ما هو، ولا يسمى سُورًا ولا حديثًا، ولا يجوز أن نقول فأتوا بحديثٍ مثل ما في نفس الباري؛ ولأن المشركين إنما زعموا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ افترى هذا القرآن وتقوله، فرد عليهم دعواهم بِتَحَدِّيْهِمْ بمثل ما زعموا أنه مُفترى ومُتقول دون غيره، وهذا واضح لا شك فيه.

الثاني: أنهم سموه شِعْرًا، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩] . ومن المعلوم أنهم عَنَوا هذا النظم؛ لأن الشعر كلام موزون فلا يُسمى به معنى ولا ما ليس بكلام، فسماه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذِكرًا وقرآنًا مبينًا، فلم تبق شُبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا النظم دون غيره.

الثالث: أن بعض الكفار زعم أنه يقول مثله، ومنهم من طلب تبديله، ونهى بعضهم بعضًا عن سماعه وأمروا باللَّغوِ فيه.

من المعلوم اليقيني أن هذا كله لا يتعلق إلا بهذا الكتاب دون ما في النفس، فإن الكفار ما اعتقدوا في نفس الباري شيئًا يريدون تبديله أو يزعمون أنهم يقولون مثله، ولا ينهون عن سماعه، مع إشارتهم إلى حاضرٍ.

الرابع: أن الله سمى القرآن عربيًا، فقال: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨] أي: غير مخلوقٍ، وَحَدِيْثًا بقوله: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ [القلم: ٤٤] . وإنما يتعلق هذا الوصف باللفظ دون المعنى.

أشار إلى هذه الوجوه شيخ الإسلام المُوَفَّقُ صاحب «المغني» في كتابه «البرهان» وأطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ورضي عنه.

قال الطوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: وأما قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ فِيٓ ﴾ [المجادلة: ٨] فمجاز؛ لأنه إنما دل على المعنى النفسي بالقرينة وهي، قوله: ﴿ فِيٓ ﴾، ولو أُطلق لما فُهم إلا العبارة، وكذلك كل ما جاء من هذا الباب إنما يفيد القرينة، ومنه قول عمر: زوّرتُ في نفسي كلامًا.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ [الملك: ١٣]، فلا حجة فيه؛ لأن الإسرار خلاف الجهر، وكلاهما عبارة عن أن يكون أحدهما أرفع صوتًا من الآخر، وأما بيت الأخطل[1] فيقال: إن المشهور فيه: إن البيان لفي الفؤاد.

وبتقدير أن يكون كما ذكروا فهو مجاز عن مادة الكلام، وهو التصورات المصححة له، إذ من لم يتصور ما يقول لا يوجد كلامًا! ثم هو مبالغة من هذا الشاعر في ترجيح الفؤاد على اللسان.

وأدلة السلف على كون الكلام حقيقة هو الأصوات والحروف: الكتاب والسنة والإجماع:

---

(١) يقصد قوله:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ❁❁ جعل اللسان على الفؤاد دليلًا

وهذا البيت قاله شاعر نصراني وإن لم يكن نصرانيًا فقد قاله بعد فساد اللسان العربي، ثم هذا البيت آحاد وهم لا يحتجون بخبر الآحاد في هذا الباب، ثم إن البيت قد وجد بلفظ:

إن البيان لفي الفؤاد وإنما ❁❁ جعل اللسان على الفؤاد دليلا

أما الكتاب:

فقول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] وقال: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة: ٢٥٣] والتكليم هو ما سمعه المُتكلم ويصل إلى سمعه، والمسموع إنما هو الحروف والأصوات لا المعاني، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الشعراء: ١٠] والنداء لا يكون إلا صوتًا، وفي القرآن من هذا الكثير.

وأما السنة:

فقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ﷺ «إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء» وروي ذلك موقوفًا على عبد الله بن مسعود[1]، فروى عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب "الرد على الجهمية" أنه قال: قلت: يا أبه إن الجهمية يزعمون أن الله لا يتكلم بصوتٍ، فقال: كذبوا، إنما يدورون على التعطيل[2].

---

(١) المرفوع أخرجه أبو داود (٤٧٣٨) من طريق الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ به وذكره البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالىٰ ولا تنفع الشفاعة عنده ... وأخرجه البخاري (٧٤٨١) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ بلفظ : "إذا قضىٰ الله الأمر في السماء ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَىٰ صَفْوَانٍ قَالَ عَلِيٌّ وَقَالَ غَيْرُهُ صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ فَإِذَا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] "وهو عند عبد الله بن أحمد في السنة رقم (٥٣٤) ورقم (٥٢٦) و (٥٢٧) وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢٠١) والأثر مخرج في الصحيحة رقم (١٢٩٣) وجاء عن ابن عباس عند عبد الله بن أحمد في السنة رقم (٥٣٨) وسنده ضعيف

(٢) أخرجه عبد الله في السنة رقم (٥٣٣) .

ثم قال: حدثني عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال: إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء[1].

قال أبو نصرٍ السجزي: وما في رواية الإمام مقبول.

وفي الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يحشر الله الخلائق يوم القيامة في صعيدٍ واحد، فيناديهم بصوت [2]رفيع غير فظيع» ذكره أبو حذيفة إسحاق بن بشر في كتابه.

وروى أنس: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أهل الجنة إذا رأوا ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَى فيناديهم بلذاذةصوته[3]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، ومن قرأه فلحن فيه فله بكل حرف حسنة»[4] قال الموفق في «البرهان»: حديث صحيح.

وأما الإجماع:

فإنهم مجمعون على أن موسى سمع كلام الله تعالى منه بغير واسطة، والصوت هو ما يُسمع.

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد موقوفا والبخاري معلقا وقد تقدم والصوت ثابت لله عَزَّوَجَلَّ ففي البخاري (٧٤٨٣) عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «يقول الله : يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت » الحديث وأخرجه مسلم (٢٢٢)

(٢) علقه البخاري في كتاب التوحيد قبل رقم (٧٤٨١) ووصله في خلق أفعال العباد (٤٦٢) والأدب المفرد (٩٧٠) وسنده ضعيف والصوت كما تقدم ثابت لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ما هو متقرر من عقيدة أهل السنة وقد تقدم الكلام وهذا الحديث يدور علىٰ عبد الله بن محمد بن عقيل مختلف فيه والراجح ضعفه.

(٣) الحديث موضوع وهو مخرج في الموضوعات لابن الجوزي (٢ / ٢٥٩).

(٤) رواه أبو عثمان الصابوني في المئتين والبيهقي في الشعب عن عمر وسنده ضعيف وانظر كنز العمال (٢٣٨٩) ولكن الحديث قد جاء مرفوعا والراجح الوقف عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «من قرأ حرفًا من كتاب الله ...» الحديث أخرجه الترمذي (٢٩١٠)

وروي عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين إضافة الصوت إلى الله تعالى من غير نكير من أحدٍ منهم كما تقدم عن ابن مسعود وغيره، وجاء في الخبر أن بني إسرائيل قالوا: يا موسى، بم شبهت صوت ربك؟ قال: إنه لا شبه له(١).

وقال أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما: إعرابُ القرآن أحب إلينا من حفظ حروفه(٢).

وسُئل عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الجُنبِ هل يقرأ القرآن؟ قال: لا، ولا حرفًا(٣).

وعنه أنه قال: من كفر بحرف من القرآن فقد كفر به كله(٤).

وقال ابن مسعود: ما من مؤمن يقرأ حرفًا من القرآن ولو شئت لقلت اسمًا تامًا، ولكن حرفًا إلا كتب الله تعالى له عشر حسنات(٥).

وأجمعوا على أنه من جحد سورة من القرآن أو آية أو كلمة أو حرفًا متفقًا عليه أنه كافر.

قال أبو النصر السجزي(٦): هذه حجة قاطعة أنه حروف. قاله في «البرهان».

فإن قيل: فالصوت لا يكون إلا من جرمين، والحروف إنما تكون من مخارج ولا يوصف الله تعالى بذلك، فالجواب من وجوه:

---

(١) أخرجه عبد بن أحمد في السنة (٥٤٢) وأخرجه الآجري في الشريعة رقم (٦٩١) وهذا الأثر من الإسرائيليات

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب وراجع كنز العمال (٥/ ٤٣٠)

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١٤٠٦) وابن أبي شيبة والبيهقي في الكبرى (١ / ٨٩) والمسألة خلافية بين أهل العلم راجع المحلى (١ / ٧٧) والصحيح جواز قراءة القرآن للمحدث والجنب والنفساء والحائض .

(٤) رواه عبد الرزاق(١٥٩٤٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه وسنده صحيح وانظر كنز العمال (٤٠٢٦)

(٥) تقدم ذكر الحديث .

(٦) وله رسالة رَحِمَهُ اللَّهُ في الحرف والصوت نقل منها شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى.

أحدها: أن يقال: من أين علمتم هذا؟ فإن قالوا: لأنها في حقنا كذلك، فكذلك في حق الله تعالى قياسًا له علينا.

قلنا: هذا خطأ واضح، فإن الله تعالى لا يقاس على خلقه ولا يُشبَّهُ بِهِم، ولا تُشبِهُ صفاته صِفاتهم، ومن فعل ذلك كان مشبهًا ضالًا.

الثاني: أن هذا باطل، فإن الله تعالى قال: ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾[يس: ٦٥] ﴿لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: ٢١] وأخبر أن السماوات والأرض قالتا: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وأخبر النبي ﷺ أن حجرًا كان يسلم عليه(١)، وأن الذراع المسمومة كلمته(٢)، وقال ابن مسعود: كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل(٣).

ولا خلاف في أن الله تعالى قادر على إنطاق الحجر الأصم بغير مخارج ولا أدواتٍ.

الثالث: أنه يلزمهم أن يقولوا في سائر صفات الله تعالى كذلك، فيقولون: إن العلم لا يكون إلا بقلب، والبصر لا يكون إلا من حَدَقَةٍ، والسمع لا يكون إلا من انخراقٍ، فإن طردوا ذلك في الصفات كلها صاروا مجسمين كافرين، وإن نفوا هذه الصفات صاروا معطلين، وإن أثبتوها من غير أدواتٍ لزمهم إثبات هذه الصفة أيضًا، وإلا فما الفرق؟!!

وقال الغزالي: من أحال سماع موسى كلامًا ليس بحرف ولا صوتٍ، فليحل يوم القيامة رؤية ذات ليست بجسمٍ ولا عرض [انتهى](٤).

---

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر بن سمرة رقم (٢٢٧٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥١٠) والدارمي (١ / ٢٢) عن جابر بسند صحيح وأخرج البخاري رقم (٥٧٧٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في شأن الشاة المسمومة نحوه من غير ذكر لكلام الشاة

(٣) أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رقم (٣٥٧٩).

(٤) وإثبات الرؤية تواترت به الأدلة من الكتاب والسنة ولي بحمد الله رسالة بعنوان: (**رؤية المؤمنين للجبار في المحشر ودار القرار**) بينت فيها مذاهب الناس في هذا الباب ومذهب أهل السنة والجماعة الحق بأدلته من كتاب ربنا وصحيح سنة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقال الطوفي: كل هذا تكلف وخروج عن الظاهر، بل عن القاطع من غير ضرورة إلا خيالات لاهية [1] وأوهام متلاشية، وما ذكروه معارض بأن المعاني لا تقوم شاهدًا إلا بالأجسام، فإن أجازوا معنى قام بالذات القديمة وليست جسمًا فليجيزوا خروج صوت من الذات القديمة وليست جسمًا، إذ كِلا الأمرين خلاف الشاهد، ومن أحال كلامًا لفظيًا من غير جسم فليحل ذاتًا مرئية من غير جسم، ولا فرق انتهى.

قال الحافظ أبو نصر السجزي: لو كان الكلام غير حرف، وكانت الحروف عبارة عنه، لم يكن بُدٌّ من أن يحكم لتلك العبارة بحكمٍ: إما أن يكون أحدثها في صدر أو لوحٍ، أو أنطق بها بعض عبيده فتكون منسوبة إليه، فيلزم من يقول ذلك أن يفصح بما عنده في السور والآي والحروف، أهي عبارةُ جبريل أو محمد عليهما الصلاة والسلام[2]، انتهى.

(١) في نسخة لاغية

(٢) لأن الله عَزَّوَجَلَّ قول في سورة الحاقة ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [الحاقة: ٤٠] والمقصود به محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وقول في سورة التكوير ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [التكوير: ١٩] والمقصود به جبريل عليه السلام فإما أن يكون كل منهما تكلم به حقيقة وهذا محال وإما أنه أضيف إلىٰ كل واحد منهما من حيث التبليغ فهذا حق والمتكلم به حقيقة هو الله عَزَّوَجَلَّ

تتمة

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني[1]: والذي استقر عليه قول الأشعرية أن القرآن كلام الله غير مخلوق، مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور، مقروءٌ بالألسنة.

قال تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وفي الحديث الصحيح: «لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو، كراهة أن ينالهُ العدو»[2] وليس المراد ما في الصدور، بل ما في المصحف. وأجمع السلف على أن الذي بين الدفتين كلام الله، [انتهى].

ولصاحب "المواقف" وهو عضد الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى مقالة مفردة في تحقيق كلام الله تعالى تطابق ما تقدم وذكرها السيد الشريف في "شرحه للمواقف".

وقد ظهر مما ذكره الحافظ ابن حجر وصاحب «المواقف» موافقة الشيخ الأشعري للإمام أحمد [رحمهما الله تعالى] في مسألة الكلام[3]، وان ما روي عنه مخالفًا لذلك فهو غلط من الناقل أو جهل بما استقر عليه قول الأشعري.

وقد أتى التاج السبكي في "الطبقات"[4] في ترجمة الأشعري بأصرح من ذلك فراجعه إن شئت، والله أعلم.

[تم][5].

---

(١) في الفتح تحت ترجمة باب قول الله تعالىٰ ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢] من كتاب التوحيد

(٢) حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا خرجه البخاري (٢٩٩٠) ومسلم (١٨٦٩).

(٣) قال الأشعري في رسالته إلىٰ أهل الثغر (٢٢٢٩): الإجماع السادس وأجمعوا علىٰ أن أمره عَزَّوَجَلَّ وقوله غي محدث ولا مخلوق وقد دل الله علىٰ صحة ذلك بقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ففرق تعالىٰ بين خلقه وأمره وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] فبين تعالىٰ أن الأشياء المخلوقة تكون شيئا بعد أن لم تكن بقوله وإرادته اهـ.

(٤) (٢ / ٢٤٥)

(٥) للإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة بعنوان «حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدع» رد بها علىٰ الأشاعرة، تراجع للفائدة. ففيها خير عظيم ورد شبه القوم التي أجلبوا بها ورفعوا بها عقائرهم، وعند المحاققة كما قيل إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، ومن قال بالقرآن والسنة أفلج غيره وخصمه.

الفصل الثالث: في قواعد نافعة إن شاء الله تعالى[1]

القاعدة الأولى: أن يقال: القول في بعض الصفات كالقول في بعضٍ.

١- فإن كان المخاطب ممن يقر بأن الله تعالى حي بحياة، عليم بعلمٍ، قدير بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصرٍ، مُتكلم بكلام، مريد بإرادة، ويجعل ذلك كله حقيقة[2]، ويُنازع في محبته ورضاه وغضبه وكراهته، في جعل ذلك مجازًا، ويفسره أما بالإرادة وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات[3]، قيل له: لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبته، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر.

فإن قلت: إن إرادته مثل إرادة المخلوقين، فكذلك محبته ورضاه وغضبه، وهذا هو التمثيل.

وإن قلت: إن له إرادة تليق به كما أن للمخلوق إرادة تليق به.

قيل له: وكذلك له محبة تليق به وللمخلوق محبة تليق به، وله رضا وغضب يليق به، وللمخلوق رضا وغضب يليق به.

فإن قال: الغضب غليان دم القلب للانتقام؟

قيل له: والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعةٍ أو دفع مضرةٍ.

فإن قلت: هذه إرادة المخلوق؟

---

(١) هذه القواعد كلها مستفادة من كتاب التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

(٢) هذا هو قول الأشاعرة ومن نحىٰ نحواهم من الذين يثبتون الصفات بالعقل، قال شيخ الإسلام في التدمرية (٢٣): (قال: تلك الصفات أثبتها بالعقل، لأن الفعل الحادث دل علىٰ القدرة والتخصيص، دل علىٰ الإرادة والإحكام، دل علىٰ العلم، وهذه الصفات مستلزمة للحياة، والحي لا يخلو عن السمع، والبصر والكلام، أو ضد ذلك). اهـ

(٣) مثل تفسير الأشاعرة للرضىٰ بالإحسان والغضب بالانتقام أو إرادة الانتقام وهذا تفسير للصفة بلازمها والواجب إثبات الصفة ثم إثبات اللازم .

قيل لك: وهذا غضب المخلوق، وكذلك يلزم القول في كلامه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته[1].

(١) هذه القاعدة التي ذكرها هي بعينها مذكورة في كتاب "التدمرية" لشيخ الإسلام أحمد بن عبد السلام بن تيمية الحراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ (٢١/ ٣٢)، **وتمام الكلام في "التدمرية"**: إن نفىٰ عنه الغضب والمحبة والرضا ونحو ذلك مما هو من خصائص المخلوقين فهذا منتف عن السمع والبصر والكلام وجميع الصفات وإن قال : أنه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص بالمخلوقين، فيجب نفيه عنه قيل له : وهكذا السمع والبصر والكلام والعلم والقدرة، فهذا المفرق بين بعض الصفات وبعض، يقال له : فيما نفاه كما يقوله هو لمنازعه فيما أثبته، فإذا قال المعتزلي : ليس له إرادة ولا كلام قائم به، لأن هذه الصفات لا تقوم إلا بالمخلوقات، فإنه يبين للمعتزلي أن هذه الصفات يتصف بها القديم، ولا تكون كصفات المحدثات، فهكذا يقول له المثبتون لسائر الصفات من المحبة والرضا، ونحو ذلك، فإن قال: تلك الصفات أثبتها بالعقل، لأن الفعل الحادث دل علىٰ القدرة والتخصيص، دل علىٰ الإرادة والإحكام، دل علىٰ العلم، وهذه الصفات مستلزمة للحياة، والحي لا يخلو عن السمع، والبصر والكلام، أو ضد ذلك قال له سائر أهل الإثبات : لك جوابان : أحدهما أن يقال : عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين، فهب أن ما سلكت من الدليل العقلي لا يثبت ذلك، فإنه لا ينفيه، وليس لك أن تنفيه بغير دليل، لأن النافي عليه الدليل، كما علىٰ المثبت والسمع، قد دل عليه ولم يعارض، ذلك معارض عقلي، ولا سمعي، فيجب إثبات ما أثبته الدليل السالم عن المعارض .

المقام الثاني أن يقال : يمكن إثبات هذه الصفات، بنظير ما أثبت به تلك من العقليات، فيقال نفع العباد بالإحسان إليهم، دل علىٰ الرحمة، كدلالة التخصيص علىٰ المشيئة، وإكرام الطائعين يدل علىٰ محبتهم وعقاب الكافرين، يدل علىٰ بغضهم، كما قد ثبت بالشهادة والخبر : من إكرام أوليائه وعقاب أعدائه، والغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته – وهي ما تنتهي إليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة – تدل علىٰ حكمته البالغة، كما يدل التخصيص علىٰ المشيئة، وأولىٰ لقوة العلة الغائية، ولهذا كان ما في القرآن من بيان ما في مخلوقاته من النعم والحكم، أعظم مما في القرآن من بيان ما فيها من الدلالة علىٰ محض المشيئة وإن كان المخاطب ممن ينكر الصفات ويقر بالأسماء كالمعتزلي الذي يقول : إنه حي عليم قدير، وينكر أن يتصف بالحياة والعلم والقدرة، قيل له : لا فرق بين إثبات الأسماء، وإثبات الصفات فإنك إن قلت : إثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضي تشبيهًا أو تجسيمًا، لأنا لا نجد في الشاهد متصفًا =

٢- وإن كان المخاطب ممن ينكر الصفات ويقر بالأسماء كالمعتزلي الذي يقول: إنه حيٌّ عليم قدير وينكر أن يتصف بالحياة والعلم والقدرة.

قيل له: لا فرق بين إثبات الأسماء وبين إثبات الصفات. فإنك إن قلت: إثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضي تشبيهًا وتجسيمًا؛ لأنا لا نجد في الشاهد متصفًا بالصفات إلا ما هو جسم؟

قيل لك: ولا نجد في الشاهد ما هو مسمى حيٌّ عليم قديرٌ إلا ما هو جسمٌ؟ فإن نفيت ما نفيت لكونك لم تجده في الشاهد إلا بجسم، فَانْفِ الأسماء، بل وكل شيء؛ لأنك لا تجده في الشاهد إلا بجسمٍ[1].

القاعدة الثانية: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى موصوف بالإثبات والنفي:

فالإثبات: كإخباره أنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير ونحو ذلك.

والنفي: كقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال[2]، إلا إذا تضمن إثباتًا؛ لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء هو كما قيل ليس بشيء، فضلًا عن أن يكون مدحًا أو كمالًا؛ ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع وهما لا يوصفان بمدحٍ ولا كمال.

= بالصفات إلا ما هو جسم قيل لك : ولا نجد في الشاهد ما هو مسمىٰ حي عليم قدير إلا ما هو جسم، فإن نفيت ما نفيت لكونك لم تجده في الشاهد إلا للجسم، فانف الأسماء بل وكل شيء لأنك لا تجده في الشاهد إلا للجسم، فكل ما يحتج به من نفي الصفات يحتج به نافي الأسماء الحسنىٰ، فما كان جوابًا لذلك كان جوابًا لمثبتي الصفات) اهـ.

(١) وهذه القاعدة موجودة في التدمرية (ص٣٥).

(٢) مثل قول الشاعر في ذم قومه:

قبيلة لا يغدرون بذمة ❁❁ ولا يظلمون حبة خردل

أي: لعجزهم عن الظلم .

ولهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمنًا لإثبات مدح كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] نفيُ السِّنة والنومِ يتضمن كمال الحياة والقيام، فهو مبين لكمال أنه الحي القيوم.

وكذلك قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾، أي لا يكرهه ولا يثقله، وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها، بخلاف المخلوق القادر؛ إذ كان يقدر على الشيء بنوع كلفةٍ ومشقةٍ، فإن هذا نقص في قدرته وعيب في قوته.

وكذلك قوله: ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ: ٣] فإن نَفْيَ العزوب مستلزم لعلمه بكل ذرة في السماوات والأرض.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾ [ق: ٣٨] فإن نفيَ مس اللغوب الذي هو التعب والإعياء دالٌ على كمال القدرة ونهاية القوة، بخلاف المخلوق الذي يلحقه من التعب والكلال ما يلحقه.

وكذلك قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] إنما نفى الإدراك[1]: الذي هو الإحاطة كما قاله أكثر العلماء، ولم ينف مجرد الرؤية؛ لأن المعدوم لا يُرى، وليس في كونه لا يُرى مدحٌ، إذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحًا، وإنما الممدوح في كونه لا يحاط به وإن رُئي، كما أنه لا يحاط به وإن عُلم.

---

(١) هذه الآية جعلها المعتزلة من شبههم في إنكار الرؤية، ووجه الشبهة: أنهم زعموا أن نفي الإدراك نفي للرؤية، فمعنىٰ لا تدركه أي: لا تراه، وقد أخطأت آساتِهم الحفر كما يقال، بل المنفي هنا الإحاطة مع إثبات الرؤية، فالإدراك رؤية وزيادة. قال الله عَزَّوَجَلَّ في شأن موسىٰ وقومه : ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٢] . فنفىٰ موسىٰ الإحاطة ولم ينف الرؤية.

فكان في نفي الإدراك من إثبات عظمته ما يكون مدحًا وصفةَ كمالٍ، وكان ذلك دليلًا على إثبات الرؤية مع عدم الإحاطة لا على نفيها، وهذا هو الحق الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها قاله الشيخ تقي الدين في "التدمرية"[1].

القاعدة الثالثة:

إن كثيرًا من الناس يتوهم في بعض الصفات أو كثير منها أو أكثرها أو كلها أنها تماثل صفات المخلوقين ثم يريد أن ينفي الذي فهمه في أنواع المحاذير.

أحدها: كونه مثل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين، وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل.

الثاني: أنه إذا جعل ذلك مفهومًا وعطله، بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله، فيبقى مع جنايته على النصوص، وظنه السيئ الذي ظنه بالله ورسوله، حيث ظن أن الذي يفهم من كلامها هو التمثيل الباطل، فقد عطل ما أودع الله ورسوله في كلامها من إثبات الصفات لله والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله.

الثالث: أنه ينفي تلك الصفات عن الله بغير علم فيكون معطلًا لما يستحقه الرب[2].

---

(١) (٥٧-٥٩).

(٢) في التدمرية (٧٩ – ٨٠): إذًا فالواجب هو سلوك سبيل أهل السنة أهل العلم والأثر والفقه، والنظر الذين أخذوا بالقرآن والسنة على فهم سلف الأمة ومن فعل ذلك سلم في معتقده وسيره، ووصل إلى مرضات رب العالمين، وفيما ذكر في هذا الكتاب وغيره من الكتب المطولة والمختصرة من كتب أهل السنة والجماعة فيه نفع وجيز لمن رام سبيل المؤمنين، وحرص عليه والله يهدي من يشاء.

الخاتمة

من تحقيق التوحيد أن يُعلم أن الحقوق ثلاثة:

١- حق لله تعالى لا يُشركه فيه مخلوق.

٢- وحق لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٣- وحق مشترك بينهما.

فأما حق الله تعالى وحده: فكالعبادة والتوكل والخوف والخشية والتقوى والإنابة والرجاء والاستعانة، قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣].

وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥٢]، فأثبت الطاعة لله والرسول، وأثبت الخشية والتقوى لله وحده[1].

---

(١) ذكر هذا الموطن وتوسع فيه شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه المفيد التوسل والوسيلة.

وقال في اقتضاء الصراط المستقيم (٢٧٧) ط دار الحديث : (والله سبحانه له حقوق لا يشركه فيها غيره، وللرسل حقوق لا يشركهم فيها غيرهم، وللمؤمنين بعضهم على بعض حقوق مشتركة ؛ ففي الصحيحين عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : كنت ردف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لي : «يا معاذ، أتدري ما حق الله على عباده؟» . قلت : الله ورسوله أعلم، قال : «حقه عليهم : أن يعبدوه لا يشركوا به شيئًا، يا معاذ، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟». قلت : الله ورسوله أعلم، قال : «حقهم عليه أن لا يعذبهم»، فالله تعالى مستحق أن نعبده لا نشرك به شيئًا، وهذا هو أصل التوحيد الذي بعثت به الرسل، وأنزلت به الكتب، قال الله تعالى:﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وقال تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. =

= ويدخل في ذلك أن لا نخاف إلا إياه، ولا نتقي إلا إياه، كما قال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [النور:٥٢] . فجعل الطاعة لله وللرسول، وجعل الخشية والتقوىٰ لله وحده .

وكذلك قال تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة: ٥٩]. فجعل الإيتاء لله وللرسول . كما قال تعالىٰ : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧]، فالحلال ما حلله الرسول، والحرام : ما حرمه الرسول، والدين : ما شرعه الرسول .

وجعل التحسب بالله وحده، فقال تعالىٰ : ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾ [التوبة: ٥٩]، ولم يقل ورسوله . كما قال تعالىٰ :﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤]، أي حسبك وحسب من اتبعك : الله، فهو وحده كافيكم، ومن ظن أن معناها : حسبك الله والمؤمنون، فقد غلط غلطا عظيما من وجوه كثيرة مبسوطة في غير هذا الموضع .

ثم قال : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ [التوبة: ٥٩]، فجعل الفضل لله، وذكر الرسول في الإيتاء، لأنه لا يباح إلا ما أباحه الرسول، فليس لأحد أن يأخذ ما تيسر له إن لم يكن مباحًا في الشريعة .

ثم قال :﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة: ٥٩]، فجعل الرغبة إلىٰ الله وحده، دون ما سواه ؛ كما قال : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ٧ – ٨]، فأمر بالرغبة إليه . ولم يأمر الله قط مخلوقا أن يسأل مخلوقًا، وإن كان قد أباح في موضع من المواضع ذلك، لكنه لم يأمر به، بل الأفضل للعبد أن لا يسأل قط إلا الله .

كما ثبت في الصحيح في صفة الذين يدخلون الجنة بغير حساب : «**هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**» فجعل من صفاتهم أنهم لا يسترقون : أي لا يطلبون من غيرهم أن يرقيهم، ولم يقل : لا يرقون . وإن كان ذلك قد روي في بعض طرق مسلم فهو غلط، فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رقىٰ نفسه وغيره، لكنه لم يسترق، فالمسترقي طالب للدعاء من غيره ؛ بخلاف الراقي غيره، فإنه داع له . =

= وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباس : «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله » فهو الذي يتوكل عليه، ويُستعان به، ويُستغاث به ويُخاف ويُرجىٰ، ويُعبد وتنيب القلوب إليه، لا حول ولا قوة إلا به، ولا ملجأ منه إلا إليه، والقرآن كله يحقق هذا الأصل .

والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطاع ويُحَبُّ ويرضىٰ، ويسلم إليه حكمه، ويعزر، ويوقر، ويتبع، ويؤمن به وبما جاء به، قال تعالىٰ :﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [النساء: ٦٤] .

وقال تعالىٰ :﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ ﴾ [التوبة: ٦٢] .

وقال تعالىٰ : ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ ﴾ إلىٰ قوله : ﴿أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾ [التوبة: ٢٤] .

وفي الصحيحين: عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : «ثلاث من كن فيه وجد حلاة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار ».

وقال : «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين »، وقال له عمر : يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، قال : «لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك». قال : فلأنت أحب إلي من نفسي، قال «الآن يا عمر» .

وقال تعالىٰ : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾، أي: الرسول خاصة: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح:٨-٩]، أي : تسبحوا الله تعالىٰ . فالإيمان بالله والرسول، والتعزير والتوقير للرسول، والتسبيح لله وحده . وهذا الأصل مبسوط في غير هذا الموضع .

وقد بعث الله محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتحقيق التوحيد وتجريده، ونفي الشرك بكل وجه، حتىٰ في الألفاظ، كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يقولن أحدكم : ما شاء الله وشاء محمد، بل: ما شاء الله ثم شاء محمد»، «وقال له رجل : ما شاء الله وشئت، فقال : «أجعلتني لله ندًا؟ بل: ما شاء الله وحده»، والعبادات التي شرعها الله كلها تتضمن إخلاص الدين كله لله، تحقيقا لقوله تعالىٰ : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥]، فالصلاة =

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال ﷺ: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء محمد»(١).

وهذا لأن مشيئة الله تعالى ليست مستلزمة لمشيئة أحدٍ من العباد ولا مشيئة أحد من العباد مشيئة لله، بل ما شاء الله كان وإن لم يشأ الناس، وما شاء الناس لم يكن إن لم يشأ الله.

وأما حق الرسول ﷺ المختص به: فكالتعزيز والتوقير(٢) والاتِّباع، والاستسلام لحكمه.

= لله وحده، والصدقة لله وحده، والصيام لله وحده، والحج لله وحده، وإلىٰ بيت الله وحده ؛ فالمقصود من الحج : عبادة الله وحده في البقاع التي أمر الله بعبادته فيها، ولهذا كان الحج شعار الحنيفية» . اهـ

(١) أخرجه ابن ماجه بعد رقم (٢١١٨) وساق سنده ولم يسق لفظه كما ذكر ذلك صاحب كتاب «تيسير العزيز العميد» (ص٤٥٥) وأخره بنحوه أحمد (٥/ ٧٢) والطبراني في الكبير (٨/ ٣٢٤-٣٢٥) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥/ ٢١٣-٢١٤) من حديث الطفيل بن سخبرة رضي الله عنه والحديث في الصحيح المسند (٥٢٤).

(٢) قال الله عز وجل : ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩] قال الراغب التعزير النصرة مع التعظيم . اهـ قال القرطبي في تفسيره (١٦ / ٢٢٧) :

﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي: تعظموه وتفخموه قاله الحسن والكلبي والتعزير التعظيم والتوقير وقال قتادة: تنصروه وتمنعوا منه. ومنه التعزير في الحد. لأنه مانع.

قال القطامي:

ألا بكرت مي بغير سفاهة ❁❁ تعاتب والمودود ينفعه العزر

وقال ابن عباس وعكرمة: تقاتلون معه بالسيف. وقال بعض أهل اللغة: تطيعوه. "﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي: تسودوه، قاله السدي. وقيل: تعظموه. والتوقير: التعظيم والترزين أيضًا. اهـ

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ (١) [النساء: ٦٥] وقال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وأمثال ذلك.

وأما الحق المشترك بين الله ورسوله: فكالحب والإيمان والتصديق والطاعة.

قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

ومن هذا الباب أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول في خطبته: «من يُطع الله ورسوله فقد رَشَدَ ومن يعصهما فإنه لا يَضُرُّ إلا نفسه، ولن يَضُرَّ الله شيئًا»(٢).

وإلى هذا أشار العلامة ابن القيم في نونيته بقوله:

لله حـــــق لا يكـــــون لغيـــــره ❁❁ ولعبـــده حـــق هـمـــا حقـــان

---

(١) ولهذه الآية سبب نزول ذكره البخاري (٤٥٨٥).ومسلم (٢٣٥٧): عن عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ سَرِّحِ الْمَاءَ. يَمُرُّ فَأَبَىٰ عَلَيْهِمْ فَاخْتَصَمُوا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلزُّبَيْرِ «اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ». فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ نَبِي اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ «يَا زُبَيْرُ اسْقِ ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الجَدْرِ»، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللهِ إِنِّي لأَحْسِبُ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

(٢) أخرجه ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والحديث عند أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (١٠٩٧) وهو حديث صحيح.

لا تجعلـــوا الحقـــين حقـــا واحـــدًا ❁❁ مـــن غيـــر تمييـــز ولا فرقـــان
فـــالحج للـــرحمن دون رســـوله ❁❁ وكـذا الصـلاة وذبـح ذا القربـان
وكـــذا الســـجود ونـــذرنا ويميننـــا ❁❁ وكـذا متـاب العبـد مـن عصـيان
وكـــذا التوكـــل والإنابـــة والتقـــىٰ ❁❁ وكـذا الرجـاء وخشـية الـرحمن
وكـــذا العبـــادة واســـتعانتنا بـــه ❁❁ إيـــاك نعبـــد ذان توحيـــدان
وعليهمـــا قـــام الوجـــود بأســـره ❁❁ دنيـــا وأخـــرىٰ حبـــذا الركنـــان
وكـــذلك التســـبيح والتكبيـــر والتـــ ❁❁ ـــهليل حـــق إلهنـــا الـــديان
لكنمـــا التعزيـــز والتـــوقير حـــ ❁❁ ـــق للرســـول بمقتضـــىٰ القـــرآن
والحـــب والإيمـــان والتصـــديق لا ❁❁ يخـــتص بـــل حقـــان مشـــتركان
هـــذي تفاصـــيل الحقـــوق ثلاثـــة ❁❁ لا تجهلوهـــا يـــا أولـــي العرفـــان

هذا آخر ما تيسر جمعه، نسأل الله العظيم أن يعمم نفعه، وأن يجعله خالصًا لوجهِهِ الكريم، مقرِّبًا لديه في جناتِ النعيم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحاتُ، والصلاةُ والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أولي الفضل والكرامات صلاة وسلام دائمين ما دامت الأرض والسماوات[1].

---

(١) تم المراد بعون الواحد الوهاب في ضحىٰ يوم الأحد الثامن من شهر ذي الحجة ١٤٣١هـ، تقبل الله منا ومن جميع المسلمين صالح الأعمال، ووفقنا لصالح المعتقدات والأفعال والأقوال، إنه سبحانه لما يريد فعال وكنت كما أشرت في المقدمة قد عزمت علىٰ جعل تتمة لكن رأيت أني سأخرج عن المقصود فعزمت علىٰ إفراده، والله الموفق والهادي إلىٰ سواء السبيل.

أبو محمد عبد الحميد الحجوري

وكانت المراجعة الأخيرة من أجل إرساله للطبع يوم الأربعاء: ٤/ شعبان / ١٤٣٢هـ بعد اتصال بيني وبين الأخ أشرف صاحب دار سبيل المؤمنين، والحمد لله رب العالمين .

الفهرس

المقدمة ٣
ترجمة المصنف..... ٦
عملي في هذا الكتاب ٨
نجاة الخلف في اعتقاد السلف ٩
المقدمة في معرفة الله تعالىٰ ١٧
الفصل الأول: في مسألة العلو..... ٣٤
الذات والصفات ٥٠
الفصل الثاني: في مسألة الكلام ٥٤
تتمة ٧٤
الفصل الثالث: في قواعد نافعة إن شاء الله تعالىٰ..... ٧٥
الخاتمة ٨٠
الفهرس..... ٨٦